من كتب مالكه الفقير اليه تعالى عبده كمامه لوقا ١٨٩٨

كتاب

الخواطر الحسان

في المعاني والبيان

« تأليف »

جبر ضومط ب · ع

أحد معلمي المدرسة الكلية السورية الانجيلية

في بيروت

طبعت بمطبعة التأليف (الهلال) بالنجالة بمصر سنة ١٨٩٦

تقدمة الكتاب

سيدي وأبي الدكتور صموئيل جسب المحترم

لا أنسى يا سيدي ما بذلتم من العناية بي وبتهذيبي أيام صباي ولا يمكن أن أنسى أيضاً ما كان للفقيدة المرحومة عقيلتكم من مزيد التفضُّل عليَّ والالتفات الخصوصي نحوي مدة اثنتي عشرة سنة متوالية كانت لي فيها بمنزلة ام شفيقة ووالدة حنونة بارَّة حريصة على كل ما فيهِ خيري وصلاحي فما عشت لا أزال أذكر ما كان من حسن رعايتها لي وتلطفها بي

وكيف استر ما أوليتَ من حسن * وقد غمرت نوالاً ايها النال

فارجو اذن يا سيدي وابي ان تقبل تقدمة كتابي هذا تذكاراً لفضل هذه الفقيدة المرحومة وشاهداً على ممر الايام بما كان لها من المساعي المشكورة والايادي البيضاء المبرورة في سبيل خير القريب عموماً وخير هذا الداعي خصوصاً

(بيروت) « جبر ضومط »

ذكر الصديق الى الابد

مسز صموئيل جسب

من يصنع العرف لا يعدم جوازيهُ * لا يذهب العرف بين اللهِ والناس

مقدمة

في بيان الغرض الداعي الى تأليف هذا الكتاب

الحمد لله الذي الهمنا البيان وارشد بلطفه الى وضع علمي المعاني والبيان اما بعد فاني اقدمت على هذا التأليف بعد مزاولة تعليم هذين الفنّين نحواً من ست سنوات في المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت رأيت في خلالها الحاجة الماسّة الى تأليف يناسب حال الزمان الذي نحن فيه . فان الكتب الموضوعة قديماً في هذين الفنّين ولاسيما المعاني على جلالة قدرها ونفاسة ما حوته انما وضعها اولئك الفضلاء ليستعين بها غيرهم من العلماء على فهم ما في القرآن من مواقع الفصاحة والبلاغة التي بلغت حدّ الاعجاز فكانت من ثم مؤلفاتهم خاصة موضوعة للخواصّ . وما كان كذلك من المؤلفات فلا يبعد ان تكون مراميهِ بعيدة عن افهام اكثر التلامذة ولا سيما تلامذة عصرنا الحاضر الذين شغلهم درس اللغات الاجنبية عن ان يوفوا لغتهم حقها من الدرس الواجب والتوسع في مطالعة القرآن وغيرهِ من الكتب التي لا بدّ من مطالعتها واطالة التروّي فيها قبل فهم ما اودعهُ

القرآن » من الشواهد والآيات المبنيّ عليها ما اصلّوه من قواعد هذا الفن وهنالك امرٌ آخر لا بد من اعتباره وهو ان تلك المؤلفات الجليلة انما كان يدرّسها اهلها او من اخذها عنهم حتى برع غاية البراعة فيها واعطي منهم اجازة باهليته لتدريسها فكان من ثم مدرّس هذا الفن يشرح لتلامذته الدقائق التي ارادها المؤلف في كل جملة فجملة وكلة فكلمة بل كان يشرح لهم لايّ دقيقة عدل المؤلف عن لفظٍ الى ما يرادفه في تأليفه مع ما كان عليه الطلبة من الاستعداد والاقبال على هذا العلم

فاذا تأملت ماذكرناه من حال الاساتذة قديماً وحال الطلبة واستعدادهم وغايتهم من درس المعاني والبيان لذلك العهد وقابلت كل ذلك بحال الطلبة لعصرنا الحالي واستعدادهم وغايتهم ثم ما كان من تعدُّد دروسهم وانقلاب نسق تدريسهم من مجرَّد سماع شرح الاستاذ الى امثولة معينة في كل يوم او في كل يوم بعد آخر يكلفون بدرسها لانفسهم واستخراج ما فيها من المعاني بدون كبير اعتمادٍ على مساعدة مدرّسيهم ثم يستجوبون عن تلك الامثولة في ساعة معينة لا تسمح لهم بقية دروسهم المختلفة ان يتجاوزوها الى دقيقة مما بعدها تبين لك جلياً ان تلك الكتب الجليلة المؤلفة لاولئك اصبحت لا تناسب حال هؤلاء وهي في كثير من المواضع غامضة عن افهامهم تدقُّ اشاراتها عن مقدار استعدادهم و بالتالي عن مداركهم فصارت الحاجة اذن ماسة الى كتاب يناسب حالهم الحاضرة ومقدار استعدادهم في معرفة اللغة مع مراعاة سنهم واساليب دروسهم

سهلة الفهم على مداركهم قريبة المنال على تحصيلهم وكان اسلوب علم البيان على غير هذه الصورة فلا جرم اذا استوعروا طريقه وتولد في قلوبهم النفرة عنه فمالوا الى غيره من بقية الدروس الاخرى ولم يكن حظهم من هذا العلم الجليل الاّ التشكي منه وزعمهم عدم الحاجة اليه فلفوتهم من فوائده الجليلة ما لا يعلم قيمتها الاّ العارف بها

فهذا ما حملني على تأليف هذا الكتاب اقرّب فيه على التلامذة ما كان بعيد المنال عليهم ولذلك اخترت ان يكون اسلوبه تعليمياً اكثرت فيه من الامثلة والايضاحات والاعادات ومهدت فيه لكل بابٍ فذكرت قبله ما يحتاج فيه الى فهمه وجعلت الابواب آخذةً بعضها باعناق بعض ومدارها جميعها على الجملة كما سترى ولم اغفل عن ان اودع في تلك الابواب جميع ما اودعه اهل هذا الفن في مطولاتهم مع زيادات لم يذكروها في كتبهم مع انها من القضايا الهامة في علم المعاني على ما سترى ان شاء الله

ولتأنيس المطالع وتهيئة ذهنه الى ما في هذا الكتاب ارى ان اذكر له الصورة التي جريت عليها في وضعه فاقول

اني بعد ان مهدت في علاقة العلوم الثلاثة النحو والبيان والمنطق بعضها ببعض وانفراد كل منها بفسحة من البحث خاصة به وبعد ان اشبعت الكلام في الفصاحة والبلاغة لانهما غاية لعلم البيان وذكرت هنالك من الملاحظات ما تعظم فائدته علماً وعملاً واكثرها مما وجدته في مواضع متفرقة من كتب ائمة هذا الفن وفلاسفته عمدت الى فصل في التصورات

العلم جعلت الكلام دائراً فيها وقسمت الكتاب بحسب ذلك الى ثلاثة اقسام

الاول · في تقسيم الجملة

وقد قسمتها الى ثلاثة اقسام وميزت كل قسم عن الآخر وكل ذلك على اسلوب يناسب اساليب بقية العلوم على ما وضعها علماء الجيل الحاضر واقل ما في هذا التقسيم من الفائدة ترويض عقل التلميذ وحمله على الفكر واعمال النظر بما يقوي من قواه العاقلة وينبه خاطره الى ما بين الجمل من التشابه والتخالف والى امكان انها قد تختلف صورة وتتفق معنىً

الثاني · في ذكر عوارض تعرض للجملة

من ذكر وحذف وتقديم وتاخير الخ وهنا تسهيلاً للبحث فرّقت ما بين جملة فعلية واسمية وبعد ان فرغت مما يعرض للجملة الفعلية اخذت في الكلام عن الجملة الشرطية لانها من قبيل الفعلية واشبعت الكلام فيها ووفقت في جميع ما ذكرته عنها بين احكام العقل ومنقولات اللغة ثم انتقلت الى الجملة الاسمية وذكرت ما يعرض لهذه ايضاً

وقد اودعت في هذه المباحث جميع ما ذكره البيانيون من تقديم وتأخير وذكر وحذف وتعريف وتنكير واتباع وفصل وقصر وانواع قصر مع ذكر فوائد شتى وبيان اسباب وعلل وكل ذلك على اسلوب سهل يقرب فهمه على المطالع ولا يملّ منه وعزّزت ذلك بشواهد وامثال رأيت الحاجة ماسّةً اليها

القسم الثالث · في اوصاف تتصف بها الجملة

من خبرية وانشائية وايجاز واطناب وقد اودعت في هذه المباحث كل ما ذكره القوم مما يتعلق بالخبر والانشاء وانواع الانشاء وانواع الايجاز والاطناب مع ملاحظات ستمرُّ ان شاء الله بها ولا تنكر فائدتها · وختمت بهذا القسم مباحث المعاني وجعلته كتاباً على حدة · وفي النية ان اتبعه بكتابين اخرين احدهما في البيان والبديع والآخر في اساليب الانشاء

واني اسأل جميع الافاضل الكرام من المشتغلين بهذا الفن ان ينتقدوا عليَّ ما كتبته و يبينوا ما تعم به الفائدة فاني اسرع من خواطرهم الوقادة في اصلاح ما تبينه انتقاداتهم من مواقع الخطا مع المنة لهم والاعتراف بفضلهم والله المسؤول ان يجازينا على اتعابنا في تاليفنا هذا بان يقع موقع القبول عند اهل الفضل ويعمَّ نفعه كثيراً من التلامذة والمطالعين انه السميع المجيب

تمهيد

موضوع المعاني والبيان

غاية اللغة التفاهم فنتكلم او نكتب لبيان افكارنا وايصالها الى فهم السامع او القاري ولا بدَّ لنا في ذلك من استعمال الجمل فانها صور للفكر خطاباً وكتابةً ذلك لان الجملة تحتوي على شيئين الفاظ منسوقة على ترتيب مخصوص ومعانٍ تقابل تلك الالفاظ يدلُّ عليها بها · الاَّ أنَّ المعاني المدلول عليها لا تكون محسوساً بها عند المخاطب شفاهاً او كتابة لا بالحواس الظاهرة ولا بالحواس الباطنة انما يتنبهُ الذهن لها بواسطة الالفاظ سماعاً في الخطاب وعياناً في القراءة وهذا المتنبهُ لهُ والمقصود نقلهُ الى ذهن السامع او القاري انما هو الفكر وعليهِ فالجملة ﴿صورة الفكر اللفظية﴾ او ﴿علامةٌ تدلُّ عليهِ﴾

ثم لما كان البيان ينظر في الفكر المدلول عليهِ بالجملة من جهة وفي الالفاظ الدالة من جهةٍ اخرى كانت وظيفتهُ مزدوجةً وابحاثهُ من جهة اللفظ تماسُّ أبحاث النحو وتتصل بها ومن جهة المعنى تماسُّ ابحاث المنطق وتتصل بها مع استقلال فسحة ابحاث كلٍّ من هذه العلوم الثلاثة على حدتها

ولبيان كل ذلك من غير تعرُّضٍ للتحديدات الاصطلاحية نقول ان

من جهة صحتها وفسادها وشيوعها وندورها وموافقتها للمتعارف او خروجها عنهُ . واما المنطق فبحثه مقصور على المعاني او الافكار في الجملة لكن لا من حيث استقلال كلّ فكرٍ بجملته على حدتها فليس من وظيفتهِ ان يبحث عن صحة الفكر المودَع في الجملة انما وظيفتهُ ان يبحث عن صحة النتيجة او فسادها فيما اذا كانت القضايا صحيحة او مسلم بصحتها وعن ضروب القياس المنتجة والعقيمة وفيما اذا كانت النتائج ضرورية او غير ضرورية الى غير ذلك مما يعلمهُ اهل المنطق

واما البيان فابحاثهُ اللفظية تبتدئ حيث تنتهي ابحاث النحو ذلك انهُ يعلمنا كيف ننتقي الالفاظ ونختار التراكيب لغاية ان نبين افكارنا تبييناً واضحاً سهلاً خلوًا من التعقيد والالتباس وذلك هو المعبر عنهُ بالفصاحة اصطلاحاً مع المطابقة لمقتضى الحال من جهة التوكيد او تركه والاقتصار في الكلام على الغايه او استطراده الى ما وراءها والحذف او الذكر تبعاً لما يتطلبه الامر الواقع من حال السامع او القاري وذلك مما قد يعبر عنهُ بالبلاغة

واما ابحاثه المعنوية فغايتها النظر في ايجاد الفكر الصحيح المناسب لمقتضى الحال وابحاثهُ من هذه الجهة تنتهي حيث تبتدي ابحاث المنطق فبان لك مما تقدم استقلال فسحة كل بحث من هذه العلوم الثلاثة مع تجاورِها واتصال اغراضها بعضها ببعضٍ

خاطر

في الفصاحة والبلاغة

الفصاحة والبلاغة محور المعاني والبيان واليهما مرجع ابحاثه لانهما الغاية التي يقف عندها المتكلم والكاتب والضالة التي ينشدانها وما عقد ائمة البيان الفصول ولا بوَّبوا الابواب الا بغية ان يوقفوا الطالب او المسترشد على تحقيقات وملاحظات وضوابط اذا روعيت في خطابهِ او كتابتهِ بلغت الحد المطلوب من سهولة الفهم وايجاد الاثر المقصود في نفس السامع واتصفت من ثم بصفة الفصاحة والبلاغة واذا كانت الفصاحة والبلاغة بهذه المنزلة فلا يحسن بطالب فن البيان ان يجهل ماهيتهما ولا يسع المؤلف فيهِ ان يؤخر البحث فيهما واذا قدَّم البحث فلا يحسن به ان يشير اشارة لا تغني في بيان الحقيقة وتترك الطالب دون الاحاطة بما يمكن ان يقال فيهما مع الفائدة المقتضاة وعليه فقد قدمنا القول فيهما وتحرَّينا الافادة من غير وقوف مع تقليد ولا لإكثار من قال فلان او قيل واجيب و بالله التوفيق

الفصاحة

ومن معناها في اللغة أن يجيد الاعجميُّ التكلم بالعربية من غير لحنٍ

البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام في ارضٍ غائلة الغطا غليظة الوطاء
قد نشف المدهن و يبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك
الهديّ وفاد الوديّ برئنا اليك يا رسول الله من الوثن والفتن وما يحدث
الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ما طمى البحر وقام تعار ولنا نعم همل
اعقال ما تبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتنا سنية حمراء
مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلعم اللهم بارك لهم في محضها
ومخضها ومذقها وفرقها وابعث راعيها في الدثر يبانع الثمر واجر له الثمد و بارك
له في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلماً ومن آتى الزكاة كان محسناً ومن
شهد ان لا اله الا اللهُ كان مخلصاً لكم يا بني نهد وضائع الملك لاتلطط في
الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تثاقل عن الصلاة · وكتب معهُ كتاباً الى
بني نهد من محمد رسول الله الى بني نهد السلام على من آمن بالله ورسوله لكم
يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب
والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ولا يوكل
اكلكم مالم تضمروا الآماق وتاكلوا الرباق من اقرّ بما في هذا الكتاب فلهُ
من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة · وفصاحة رسول
الله صلعم لا تقتضي استعمال هذه الالفاظ ولا تكاد توجد في كلامه الا جواباً
لمن يخاطبه بمثلها كهذا الحديث وما جرى مجراه على انهُ قد كان في زمنه
متداولاً بين العرب ولكنهُ صلعم لم يستعملهُ الا يسيراً لانهُ اعلم بالفصيح

هو الغريب الذي يقل استعماله فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهةً
وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة وذلك في اللفظ عيبان احدهما انهُ
غريب الاستعمال والآخر انهُ ثقيل على السمع كريهٌ على الذوق واذا كان
اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظته وهو الذي يسمى الوحشي
الغليظ و يسمى ايضاً المتوعر وليس وراءهُ في القبح درجة اخرى ولا يستعملهُ
الا اجهل الناس ممن لم يخطر ببالهِ شيءٌ من معرفة هذا الفن اصلاً » انتهى

ونزيد هنا ان العرب لشدة الفتهم الابل وكثرة تعهدهم لها واهتمامهم
بها قد وضعوا لها من الالفاظ الدالة على مسمياتها وأوصافها وشياتها
وتنوع حالاتها ما هو بالغ مبالغهُ من الكثرة وهذه الالفاظ على كثرتها
نقلها الينا الذين عنوا بجمع اللغة لم يغفلوا شيئاً منها مما سمعوهُ عن القوم
صبيانهم وعبيدهم واماثهم لا في احاديثهم ولا في اسجاعهم ولا في اشعارهم
كما لا يخفى على عارف فهاتهِ الالفاظ اصبح اكثرها الآن لبعد عهدنا بالابل
وقلة الفتنا لها وتعهدنا اياها غريباً عندنا وحشياً اذا استعملناهُ لا نحسن استعماله
في مواضعهِ ولا على ما يراد بهِ واذا رأيناهُ في كتابات المتطفلين على
الكتابة لا نفهم ما يعنون بهِ ولا ما يقصدون باستعمالهِ · واشبه بالالفاظ
الموضوعة للابل اكثر الالفاظ الموضوعة للسيف والرمح والاسد وادوات
الصناعات التي كانت عندهم وضروب مساكنهم وملبوساتهم وما يتعلق بها
من الاوصاف والاشكال والحالات واسماء اجزائها وما يتلبس بها من

مألوفاتنا لا يتصور في اذهاننا اذا سمعناها او قرأناها لا صورة حقيقية ولا ما يقرب من الحقيقية بل منها ما لا تتصور لهُ في اذهاننا صورة اصلاً لان اعيان المسميات بها اما زالت من الوجود منذ مئات من السنين او انقلبت اوضاعها وتبدلت حالاتها واشكالها عما كانت عليهِ واطلق عليها متعهدوها اسماء غير الاسماء الاولى وبالاجمال لم يبقَ عندنا الا اسماء المسميات مع اقتراض اعيانها او تبدلها بصور غير صورها الاصلية في جميع ضروب ادوات الصناعات المختلفة وانواع المساكن والملبوسات وآنية البيوت والمفروشات وما شاكلها من آنية المشروب والزينة وادوات المطابخ والموائد . واذا كان الامر كذلك فمن الواضح ان هذه الالفاظ اما لا يفهم ما المراد بها او يعسر فهمها واحضار صورة ما هي مستعملة لهُ في الذهن ومن امثال ذلك على ما يحضرني طراف وخباء وكنّ وكنة وكنيف الدار والرف والطاق والطيلسان والرداء والحلة والوشاح والمكوك والصاع والوية والكيلجة والمنا والاستار والقصعة والجفنة والعس والنمط والنمرقة والسفط والقفة وغير ذلك من الاسماء التي يقال فيها انها كذا او كذا وهي في جميع اشكالها غير مشاهدة في وقتنا الحاضر ولا مستعملة فيهِ والمستعمل منها انما هو على شكل غير الشكل الذي كان لهُ من قبلُ ومن مادة غير المادة التي كان يصنع منها ولهُ اسم يعرف بهِ الآن غير الاسم الباقي لنا في كتب اللغة ومعجماتها حتى اذ استعمله (اي الاسم الباقي) كاتب في كتابتهِ لا يدري القاري ما المراد منهُ ولا

ينبغي المحافظة على قداستها واستعمالها دون غيرها من الالفاظ المتعارفة والمستعملة الآن لما هو مالوف ومشاهدٌ في وقتنا الحاضر واعجب من هذا انهم قد يطلقونها في الاستعمال من غير قيد يقيد ما المراد منها على التعيين أو ما يقرب منهُ

هذا خلاصة ما يقال في سبب عدم سهولة فهم ما يراد باسماء الموصوفات واما سبب عدم سهولة فهم المراد من الصفات المسمى بغرابة الاستعمال على ما يؤخذ من تمثيل البيانيين فراجع الى ان الصفة لا تنطبق على الموصوف ولا تناسبه لا حقيقةً ولا مجازاً كلفظة المسرّج المار ذكرها في قول رؤبة ولهذا السبب عينه لم ترد في استعمال البلغاء وكبار الكتبة والشعراء الذين ينبغي متابعتهم والتعويل على ما عوّلوا على استعماله والاَّ بطل التفاهم او تعسر خلافاً للمقصود من اللغة ولنضرب لك مثلاً يوضح ما قصدنا تقول علتْ همة فلان فهو عالي الهمة وهمة عالية لمناسبة الصفة للموصوف توهماً وتخييلاً وهكذا ورد استعمال كبار الكتبة لهذه الصفة مثلاً ولا تقول ذهن عالٍ وفلان عالي الذهن لعدم انطباق الصفة على الموصوف لا حقيقة لغوية لانك لا تقول علا ذهنه ولا مجازاً على سبيل الوهم او التخيل وانت اذا تتبعت استعمال الكتبة لم ترَ في استعمالهم جعل هذه الصفة لهذا الموصوف ونعته بها وعليه فاذا استعمل كاتب ما يشاكل هذه اللفظة قلنا انها غريبة الاستعمال وبعيدة عن المانوس عند الكتاب وحكمنا بعدم فصاحتها بل

ملاحظات

(١) لا تستعمل الالفاظ المبهمة اذا كان غرضك التعيين واحضار صورة الشيء او المعنى المراد في الذهن

(٢) لا تستعمل اللفظ المشترك الاَّ مع قرينة تبين المراد من معانيه المشتركة

(٣) لا تستعمل اللفظ الاَّ اذا عرفت تمام المعنى المراد به وانه هو المعنى الذي تريده بعينه

(٤) لا تستعمل لفظاً كان اسماً لمسمى لم يبق في المشاهد او تبدَّلَ عن صورته الاصلية لمسمى آخر من جنسه الاَّ اذا فهم انك تريد به المسمى الثاني بعينه

(٥) اذا وجد لديك مترادفان فاستعمل ادلهما وضعاً وعرفاً على المعنى المراد

(٦) اذا وجد لديك مترادفان دلالتهما واحدة فاستعمل اقلهما حروفاً وتحرَّ ان يكون اسهلهما لفظاً واوقعهما حسناً في السمع

(٧) لاتخالف المتعارف من القواعد الصرفية الاَّ اذا كان اللفظ متداولاً مشهوراً

(٨) اذا وجد لديك مترادفان من مزيدات الفعل ودلالتهما واحدة فان كان مرادك التعدية فاستعمل اشهر الصيغتين في التعدية او التكثير فاشهرهما في التكثير وهكذا في المشاركة والمغالبة والصيرورة والمطاوعة والوجدان على صفة الاَّ اذا شاع استعمال كلتي الصيغتين بين الكتبة والمتكلمين

(٩) استعمال الكتبة البارعين والشعراء المفلقين حجة فتابعهم فيما استعملوه من الالفاظ في كل ما سهل فهمهُ وعرف المراد منهُ وتحرَّ ذلك

الفصاحة في المركبات

من شروط الفصاحة في الجملة ان تخلو من الالتباس اولاً ويسهل فهم المقصود منها ثانياً اما الالتباس فممنوع ابداً لمنافاته القصد من وضع اللغة واما سهولة الفهم فشرط اولي وضروري ايضاً لما انه غاية للغة ومطلب من مطالبها المقصودة بالذات وهو دليل على ارتقائها وارتقاء اهلها والاَّ فالتفاهم المطلق قد يحصل بالاشارات والاصوات الطبيعية الاَّ ان مثل هذا التفاهم لا يُطلق عليه اسم لغة الاَّ على سبيل التجوُّز والتسامح كقولنا لغة الحيوان الاعجم فاعلم هذا

وهناك شرط آخر لفصاحة المركبات وهو ان تكون الفاظها متناسبة بعضها مع بعض بسهل النطق بها مجموعة معاً فلا تتلوى على اللسان ولا يرى فيها معاظلة يستكرهها السمع . وهذا الشرط بحسب الظاهر اميل الى الحسن والاناقة مما هو الى سهولة الفهم وان كان مرجعه آخراً اليها

ولما كانت كل التراكيب النحوية الضعيفة والشاذة توجب شيئاً من عسر الفهم كانت كلها اذا وقعت في الجملة من المخلاَّت بفصاحتها . الاَّ انه قد يكون في بعض هذه التراكيب من التقديم والتأخير والفصل بين

فيتسبب من جرّاء هذا الخروج عسر في الفهم ينفر منه الذوق ويقضي على القاري بالشيء الكثير من اطالة الفكرة والتأمل في الجملة قبل ان يستخرج المعنى المقصود منها وهذا ما يسميه البيانيون بالتعقيد اللفظي و يعدونه من اكبر المخلات بالفصاحة وهو كذلك فتجنبهُ كل التجنب فانه مما لا تؤذن به الفصاحة ولا يسوغهُ الفصحاء بوجه من الوجوه في سائر الجمل على انواعها

﴿ امثلة مما يجب تجنبه لما فيه من ضعف ﴾

« التركيب او التعقيد »

كسى حلمهُ ذا الحلم اثواب سوددٍ ورقى نداهُ ذا الندى في ذرى المجد
(غيرهُ)

جزى بنوهُ ابا الغيلان عن كبرٍ وحسن فعلٍ كما جوزي سنمارُ
(غيرهُ)

ارضٌ لها شرفٌ سواها مثلها لو كان مثلك في سواها يوجد
(غيرهُ)

الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجومَ الليل والقمرا
(غيرهُ)

خالي لأنت ومن جرير خالهُ نيل العلا ويكرم الاخوالا
(غيرهُ)

غداةَ احلّت لابن اصرم طعنةٌ حصينٍ عبيطاتِ السدائفِ والخمرُ
(غيرهُ)

الى ملك ما امُّهُ من محاربٍ ابوهُ ولا كانت كليب تصاهره
(غيرهُ)

(غيرهُ)

وليست خراسان التي كان خالد بها امدّ اذا كان سيفًا امیرها

﴿ من المخلات بالفصاحة في المركّب ﴾

المعاظلة

والمعاظلة على ما ذكرهُ ابن الاثير ماخوذة لغة من قولهم تعاظلت الجراد تان اذا ركبت احداها الاخرى فسمي بها الكلام المتراكب في الفاظه اخذًا من ذلك وليس مجرد التراكب يعدُّ اخلالاً بالفصاحة انما اخلالهُ اذا تسبب عنه قلقلة بين الالفاظ وعسر في النطق بها يمجهُ الذوق و يستكرههُ السمع وقد قسمها هذا العلامة الى اقسام خمسة (الاول منها) يختص بادوات الكلام نحو من والى وعن وعلى واشباهها فان منها ما يسهل النطق به اذا ورد مع اخواته ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيلاً على اللسان فان كان الثاني فالمعاظلة متحققة فيه كقول ابي تمام

الى خالدٍ راحت بنا ارحبيةٌ مرافقها من عن كراكرها نكب

والاّ فلا كقول قطريّ بن الفجاءة

ولقد اراني للرماح دريئة من عن يميني تارةً وشمالي

والاصل في ذلك راجع الى السبك فاذا سُبكت هاتان اللفظتان او ما يجري مجراهما مع الفاظٍ تسهل منهما لم يكن بهما من ثقل كما جاءتا في بيت قطريّ واذا سبكتا مع الفاظ تثقل منهما جاءتا كما جاءتا في بيت ابي تمام

او حرفان في كل لفظةٍ من الفاظ الكلام المنثور او المنظوم فيثقل حينئذٍ النطق به كقول بعضهم

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وكقول الحريري

وازور من كان له زائرًا وعاف عافي العرف عرفانهُ

ومثل قولها قول المتنبي وقول كشاجم

كيف ترثي التي ترى كل جفن رآها غير جفنها غير راقي
حدائق كفّ كل ريح حل بها خيط كل قطر

(القسم الثالث) ان ترد الفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضاً فمنها ما يختلف بين ماضٍ ومستقبل ومنها ما لا يختلف فالاول كقول القاضي الأرجاني

بالنار فرّقت الحوادث بيننا وبها نذرت اعود اقتل روحي

والثاني كقول ابي الطيب المتنبي

اقل انل اقطع احمل عل سل اعد زدهش بش تفضل ادن سرصل

(القسم الرابع) وهو الذي يتضمن مضافات كثيرة كقول ابن بابك في مفتتح قصيدة لهُ

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي فانت بمرأى من سعاد ومسمع

(القسم الخامس) ان ترد صفات متعددة على نحو واحد كقول ابي تمام

وكقول المتنبي

دانٍ بعيد محبٍّ مبغضٍ بهجٍ اغرّ حلوٍ مرٍّ لينٍ شرسِ
ندٍ ابيٍّ غرٍ وافٍ اخي ثقةٍ جعيدريٍّ ندٍ ندبٍ رَضٍ ندسِ

انتهى محصلاً عن المثل السائر طبعة بولاق من وجه ١٧٧ الى ١٨٣ فمن اراد زيادة تفصيل فليراجع الفصل هناك فانه غاية في بابه

﴿ من المخلاّت بالفصاحة ايضاً ﴾

صعوبة رد الضمير الى ما هو له

اعلم انهُ قد يتقدم في الكلام اسمان ظاهران او عدة اسماء ثم يردُّ عليها الضمير فاذا لم يتنبه الكاتب او المتكلم في رد هذه الضمائر اشتبه في المراد بالضمير من هو ووقع الاختلال بسبب ذلك في فهم المقصود من الجملة حتى يأول الامر اما الى الالتباس او اطالة الفكرة قبل معرفة اسم المردود عليه الضمير وكل ذلك مما لا يرضي اما الالتباس فلانهُ ممنوع في اللغة واما اطالة الفكرة فلأن السامع لا يمكنه الحال منها والقاري يشق عليه امرها ويتبرّم بها فاياك واياً ذلك

راجع الفقرات الآتية من تاريخ العتبي طبعة بولاق وجه ٢٠٩

«وبث الامير سبكتكين كتبه الى من تفرق عنه في دار مملكتهِ واطراف ولايته من قوّاده واجناده في استنهاضهم الى مخيمه واستعجالهم الى مضربه فانهض الوزير ابا نصر الى والي سجستان يحشمهُ اللحاق به وكتب الى والي

وانتظار ما يرد عليه من مثاله فكتب الى القواد بنواحي خراسان بالبدار اليه وتتابعت الامداد من كل جانب عليه فصار الامير سبكتكين في جيوش لو راموا الجولا استنزلوا طيارتهُ او وردوا البحر لأَ بدوا قرارته وسار للانتقام مسير الليل غابت كواكبه والسيل ضاقت مذاهبه . وقد كان فائق عدل الى طوس يكاتب الامير سبكتكين مداهناً ويطمعه في الانحياز اليه مهادناً فتلقى وجهه بمثاله وكال عليه مثل مكياله وتكفأ اميرك الطوسي احد الامرا التاروزية لابي عليّ بين الطاعة والمناعة والموافقة والمنافقة يقدم رجلاً للورود ويوخر اخرى للقعود فارسل ابو علي ابا القاسم الفقيه اليهما للاستمالة وتحذيرهما قدم الضلالة فنهض اليهما واخذ له الميثاق عليهما وكتب اليه يستعجله اللحاق بهما » انتهى . فانك اذا تأملت ماتقلناه عن هذا الكاتب الشهير وجدت كثيراً من الضمائر تحتاج الى شرح المنيني او الى شرح النجاتي والناموسي في ردها الى من هي له

ملاحظات

على الفصاحة في المركب

(١) لا تستعمل التراكيب النحوية الشاذة ولا الضعيفة الاَّ ان تكون جارية مجرى المثل في كثرة استعمال الكتبة والمتكلمين لها

(٢) احذر من المعاظلة ولا سيما في المخاطبات والوعظ شفاهاً

(٣) تجنب كل تعقيد ان من جهة اللفظ او من جهة المعنى فالتعقيد دليل

(٤) توخَّ سهولة الفهم في كل جملة تكتبها بحيث يفهم القاري الفكر المودع فيها عند اتيانك على آخرها من دون ان يتكلف لمراجعتها أو لتأملٍ فيها (وهذا الشرط في المخاطبات اهمُّ منهُ في المكاتبات ايضاً)

البلاغة

البلاغة على ما عرَّفها علماء البيان هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحتهِ و يوصف بها الكلام والمتكلم دون اللفظ المفرد فيقال مثلاً كلام بليغ ومتكلم بليغ ولا يقال لفظة بليغة و يريدون بالمتكلم البليغ من له ملكة يقتدر معها على الاتيان بالكلام البليغ وأما الحال فقالوا فيه انهُ « هو الأمر الداعي الى التكلم على وجهٍ مخصوص ومقتضاهُ يختلف بحسب اختلاف مقامات الكلام فان مقام التنكير يخالف مقام التعريف ومقام الذكر يخالف مقام الحذف ومقام الفصل يخالف مقام الوصل ومقام الايجاز يخالف مقام الاطناب والمساواة ومقام التأخير يخالف مقام التقديم وخطاب الذكيّ يخالف خطاب الغبيّ ولكل كلمة مع اخرى تصحبها في اصل المعنى مقام فالفعل المصاحب لإنَّ ليس كالفعل المصاحب لإذا لما سيأتي في الفرق بينهما وانما يقضي على الكلام بالارتفاع في الحسن والانحطاط بمطابقتهِ للاعتبار المناسب وعدمها فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب اي الامر الذي اعتبر مناسباً بحسب تتبع تراكيب البلغاء » اه (عقود الجمان للسيوطي الطبعة

على اني أرى أن ما ذكرهُ هذا الكاتب الشهير انما هو شروط كمال لا بد منها في الكلام البليغ والبلاغة وان كانت تقتضيها جميعها هي امرٌ آخر من ورائها مرجعهُ الى امر في الذهن قائم بارتباط الافكار بعضها ببعض وسردها على وجهٍ مخصوص يفهم منهُ كنهُ المراد والمحيطات بهِ مما يريدهُ المتكلم او الكاتب على اخصر طريق واسهلهِ بحيث لا يتكلف ذهن السامع او القاري شيئاً من العناء واجهاد الفكر مما يمكن ان يكون في غنى عنهُ ولا يضيع عليه ايضاً مع هذا شيءٌ من ايجاد الاثر المقصود على اشده في النفس اذا كان المقام خطابياً او التمكين مع الوضوح اذا كان المقام علمياً او فلسفياً وهذه الغاية تقتضي بطبعها الشروط التي ذكرها العلامة السيوطي كما قدمنا

والحقُّ ان متعلق البلاغة انما هو في المقالة او الكتاب برمتهِ لا في الجملة المفردة او القطع الواحدة وليكون الكتاب بليغاً لا بد من ارتباط الجمل بالقطعة والقطعة بالمقالة او الفصل والفصول بابحاث الكتاب على الجملة ثم لا بد من ان يكون الارتباط والترتيب المخصوص على ما ذكرناه ويؤدي الى الغاية التي اشرنا اليها . ولا يخفى ان الارتباط يكون باعتبار الزمان والمكان او الاستصحاب والعلة والمعلول والغاية والصورة والمادة والوهم والتخيل الى غير ذلك والكاتب البليغ من احسن جميع هذه الاعتبارات وربط بين جملهِ وقطعهِ وفصوله على ما يقتضيه الحال بانسب الروابط وادلها على الغرض المقصود بجميع اعتباراته ومحيطاتهِ على ما اشرنا

بجملته انما هو ما نراهُ من تعدد المؤلفين والكتاب في الموضوع الواحد وتفضيلنا ما يكتبهُ الواحد على ما يكتبهُ الآخر على حين يكون كل من الكاتبين اماماً في اللغة واذا تتبعنا ما كتبوه لم نجد في احدهما نقصاً او اخلالاً في المقامات التي ذكرها العلامة السيوطي من توكيد وتركه وذكرٍ وحذف وتنكير وتعريف وفصل ووصل وايجاز واطناب بلى قد نرى بعض الاختلاف بين ايجاز واطناب الاَّ اننا نحكم بالذوق ان ليس شيءٌ منهما بذاته داعٍ الى الحكم ببلاغة المقالة او الكتاب بل قد نكتفي بايجاز الواحد ولا ننكر اطناب الآخر مع بقاء الحكم بان هذا المؤلف ابلغ من ذاك . وليس هذا الا لاحكام الارتباط بين قطع هذا المؤلف وفصوله دون ذاك وترتيب مخصوص في هذا دون ذاك يكون معهما الكتاب الذي الفهُ زيد ابلغ من الكتاب الذي الفهُ عمرو و بالضرورة اكثر قبولاً منهُ عند القراء واوقع في نفوسهم فاعرف هذا

البلاغة درجات متفاوتة

تعرف هذا اذا اقترحت انشاء مقالة في موضوع على عدة كتاب فانك اذا وقفت على ما كتبوه ترى كل مقالة بليغة بحدّ ذاتها ولا يظهر لك انحطاط في درجة بلاغة احدى تلك المقالات الا اذا قابلتها على المقالات الاخرى ومقياس التفاوت راجع الى وضوح المقالة و توجهها الى الغرض المقصود مع

التنفير رأساً هذا في الخطابيات او ما توجبهُ من الاقناع واليقين في العلميات والفلسفيات اولاً ثم ما توجبه من الفعل او الترك ثانياً تبعاً لما كان حصل قبلاً من الاقناع او اليقين وهذا لا يكون بمجرد مراعاة المقامات المختلفة في كل جملة على حدتها من تنكير وتعريف وحذف وذكر واشباه ذلك انما يكون بداعي ما يذكر من العلاقات الخارجية والذهنية وترتيب ذلك على نسقٍ مخصوص يفعل على النفس فيوجب ما يوجب من الفعل والترك والتحبيب والتنفير والترغيب والترهيب والشك واليقين والاقناع بصحة امر او فساده وتمكين الحقيقة في الذهن او تقريبها من الفهم الى غير ذلك مما يراد

﴿ عليك اذا توخيت البلاغة بمراعاة الشروط الآتية ﴾

(١) تحرَّ البيان والوضوح في الفاظك وعباراتك وافكارك وغايتك

(٢) فكر في موضوعك قبل ان تكتب سواداً على بياضٍ ووفهِ حقه من التأمل والنظر

(٣) فكر بما يتعلق بموضوعك من احوال خارجية وذهنية واعتبارات وهمية وتخيلية مما اذا قرنت بموضوعك تزيدهُ بياناً ووضوحاً من جهة وتؤدي بك الى غايتك بايجاد ما تريدهُ من الاثر في النفس من جهة اخرى

(٤) اذا كان موضوعك شيئاً محسوساً يقتضي الروية أو السمع أو اللمس او الشم او الذوق او كل هذه معاً او بعضها معاً فانظر

باحكامك فيه اولم تركن الى اختباراتك وملاحظاتك الشخصية فاقرأ مؤلفات الثقات في ذلك الموضوع وقابل ما عندهم بما عندك واياك والاعجاب برأيك والاعتداد بما عندك فانهُ آفة التحقيق ووصمة تشين في قناة المحققين

(٦) باحث اهل العلم والخبرة بموضوعك واستوضح منهم عن آرائهم وما اشكل عليك فهمه وأضف كل ذلك الى ما عندك

(٧) اذا بلغ الامر بك أن صار الموضوع جلياً واضحاً في ذهنك فارسم لهُ اولاً صورة رؤوس اقلام واعد نظرك ثانياً في ترتيب تلك الصورة الى أن تحقق بقدر امكانك انك بلغت غاية ما في وسعك من احكام الترتيب واتقانه

(٨) راجع الالفاظ الدالة على المعاني المفردة وانتق افصحها وادلها على ما تعنيه وكذلك عبارات البلغاء من معاصرين وغير معاصرين وخذ افصحها واكثرها تداولاً الا ان ترى خلافها مما هو أدقُّ دلالة على مقصودك

(٩) اذا هيأت جميع هذا فابدأ بالكتابة بموضوعك ثم اعد نظرك فيما كتبت وقدم وأخر واحذف وزد على حسب ما تراهُ مناسباً بعد الفكرة والتأمل مراعياً في جميع ذلك حال المخاطبين واذواقهم

(١٠) المهم من جميع ذلك ان تكون الصور والافكار التي عندك واضحة والمقصود متجلياً أتمَّ التجلي في ذهنك مرتباً فيهِ على اقرب

او تنعت بفصاحة او بلاغة ولا تطمع ايضاً في أن استاذك او مشيرك يستطيع اصلاح ما كتبت ويقوم لك من مناده

خاطر

﴿ في الصور الذهنية والافكار ﴾

الالفاظ انما هي علامات او اقصة للمعاني فلا يحتاج اليها العقل الاَّ عند التفاهم فقط وهي ليست صوراً لاشخاص المدركات كصورة البيت للبيت وصورة زيد (التي يصورها المصوّر) لزيد والشجرة والحيوان للشجرة والحيوان في الخارج انما هي علامة للصورة الذهنية او قميصٌ لها اعتاد العقل ان يقرنها (اي تلك العلامة) بها فانك اذا سمعت لفظة بيتٍ بالانكليزية مثلاً او رأيت صورتها الكتابية (هَوس House) فلا تفهم منها ما تفهمه فيما لو رايت صورة المصوّر للبيت الخارجي الاَّ بعد ان يألف العقل اقتران تلك اللفظة بالصورة الذهنية التي عنده وعليه فلا فرق ﴿ الآن ﴾ بين لفظة ولفظة للدلالة على تلك الصور الذهنية في بادي الامر كالطفل فانهُ لا فرق عنده بين ان تجعل لفظة بيت او (هَوس House) علامة لتلك الصورة الذهنية التي كان ادرك وجودها في الخارج من قبلُ الاَّ انهُ اذا جعل التفاهم بلفظة معينة لمعنى معين واعتاد العقل ان يقرن ذلك اللفظ بذلك المعنى حالما يسمع اللفظ او يرى صورته الكتابية فلا يصح بعدها

فانَّ المخاطب لا يفهم ما تريدهُ واذا جرى المتكلمون على ذلك فلا يفوتهم الان ما اصاب اهل بابل قديماً من بلبلة الالسنة وتفرقهم على وجه كل الارض. ظهر لك مما قلنا انَّ الالفاظ انما هي علامات للصور الذهنية يقرن العقل بينهما حتى يصح بعد طول الالفة واستمرار العادة قادراً ان يحضر الصورة الذهنية اذا حضرت علامتها عنده اولاً وبالعكس. والصور الذهنية اما ان تكون من المحسوسات الخارجية مما كان ادرك العقل اعيانها بالحواس الظاهرة او من المحسوسات الوجدانية التي كان ادركها بالحواس الباطنية او من المعقولات الذهنية المتعلقة اما بالمحسوسات او بغيرها مما كان ادركها بالواهمة او بغيرها من القوى العقلية المدركة فانَّ هذه المدركات على انواعها يدركها العقل كل مدرَك على حدته ويرتسم لها في الذهن صورة يستطيع العقل ان يحضرها ثانية ولو مع غيبوبة اعيانها المدركة وهذه الصور يستطيع العقل ان يخزنها لوقت الحاجة في الخيال اذا كانت من صور المحسوسات او في الحافظة اذا كانت من مدركات القوة الوهمية او من مدركات غيرها من بقية القوى العقلية والادبية ودليلهُ انك بعد ان تكون رايت شيئاً او سمعت صوتاً او ذقت او لمست او شممت يمكنك بعد غيبوبة اعيان هذه المدركات ان تحضر صورها في ذهنك ثانية وتدرك اذا تكرَّر عليك الاحساس بها انك كنت ادركت مثلها سابقاً

فهذه الصور الذهنية هي الموضوع بازائها اللفظ علامة لها وهي المرادة بقولنا معنى هذه اللفظة كذا ومعنى تلك كذا وهلمَّ جرًّا حتى اذا سألك

الشجرة على مثل ما يكونان في الخارج تكون قد اجبته عن سؤاله · ولسهولة التعبير نسمي هذه الصور الذهنية بالتصوُّرات او المعاني المفردة ونقول ان كل لفظة موضوعةٌ بازاء تصوُّر ما علامة له يقرنها العقل به و يحضره عند حضورها سماعاً او كتابة · فاذا وضع لتصوُّر واحد عدة الفاظ علامة لهُ وتدلُّ عليهِ قيل عن تلك الالفاظ انها الفاظ مترادفة واذا وضع لعدة تصوّرات لفظٌ واحد علامة لها و يدل عليها قيل عن اللفظ انه لفظ مشترك فاعرف هذا

قلنا ان هذه التصوُّرات يحفظها العقل في الذهن و يستطيع احضارها ثانية متى شاءت هي والعلامات الدالة عليها ايضاً الاَّ ان للمدركات فيما بينها كما لا يخفى عليك تعلقاً وارتباطاً فتتشابه او تتخالف وتوجد معاً او تتعاقب في الوجود فاذا جمعت بين تصورين وحملت احدهما على الآخر حملاً يفيد التشابه او التخالف او الاستصحاب او غير ذلك من التعلقات الواقعة كان لك الفكر في ابسط احواله فالفكر اذن ﴿ انما هو الجمع بين تصورين في الذهن وحمل احدهما على الآخر ﴾ وللفكر علامة تدل عليه وهي ﴿ الجملة ﴾ كما ان للتصور او المعنى المفرد علامة تدلُّ عليه وهي اللفظة المفردة وما قيل في الالفاظ المفردة من جهة الترادف والاشتراك يمكن ان يقال مثله في الجملة فيقال مثلاً جمل مترادفة او جملة مشتركة ونعني بالمترادفة ان قد وضع لفكر واحد اكثر من جملة واحدة علامة تدل عليه و بالمشتركة ان قد وضع لعدة افكار جملة واحدة علامة تدلُّ عليها

الافكار الصحيحة والافكار الفاسدة

اذا كان الجمع ما بين تصورين وحمل احدهما على الآخر على ارادة التشابه او التخالف او غيرهما من التعلقات الاخرى مطابقاً للواقع في الوجود كان الفكر (الذي هو حمل احد هذين التصورين على الاخر) صحيحاً وحقيقياً وان لم يكن مطابقاً للواقع كان الفكر فاسداً وغير حقيقي ثم ان كان الجمع بين التصوّرين حملاً صحيحاً لم يسبق احد الى معرفته من قبل كان الفكر مبتكراً او مبتدعاً حقيقة فان سبق احد الى معرفته ولم يكن لمن جمع علم بهذه السابقية كان الفكر مبتكراً بالنسبة اليه ومسبوقاً بالنسبة الى غيره ممن له العلم بها من قبلُ فاعلم هذا · وقد عقدنا هذا الفصل ترويضاً لذهن الطالب من جهة وتوصلاً الى حقيقة الجملة ما هي من جهة اخرى فانَّ على الجملة مدار الكثير من ابحاث البيان وهي مقصودة بالذات لانها صورة للفكر او علامة تدلُّ عليهِ

خاطر

في تقسيم الجملة

قلنا ان الجملة صورة للفكر او علامة تدلُّ عليهِ والصحيح انها علامة لصورة الفكر في الذهن تدلُّ عليها ويمكن بها اذا حضرت احضار تلك

﴿بسيطة﴾ و ﴿مركبة﴾ و ﴿مؤلفة﴾ وهنا نقول ان تقسيمنا الجملة الى هذه الاقسام انما هو تقسيم صناعي يراد به فضلاً عن سهولة البحث تفقيه الطالب في صناعة الجمل حتى يتمكن من الاحاطة بجميع ضروبها و يُلقى اليه بمقاليدها فلا يعود يشتبه عليهِ شيءٌ من امرها مهما تقلبت احوالها واختلفت مظاهرها ولذلك فيمكن لغيرنا من الكتاب ان يقسمها الى غير هذه الاقسام على شرط ان يكون في التقسيم ما يمكّن الطالب من قياد الجمل و يسهّل عليه البحث فيها فوق ما في تقسيمنا او يكون اجمع منه واحوط بحدود كل جملة حتى لا تتجاوز مكانها الى غيره

القسم الاول

﴿ في الجملة البسيطة ﴾

وتقسمها الى قسمين ﴿بسيطة مطلقة﴾ و﴿بسيطة مقيدة﴾ فالبسيطة المطلقة انما نريد بها الجمع بين تصورين وحمل احدهما على الاخر من غير قيد بزمان او مكان او اضافة او غير ذلك من القيود التي سنذكرها مثال ذلك ﴿العلم نافع﴾ فانَّ في هذه الجملة تصورين مفردين وهما العلم والنفع وقد حملنا احدهما وهو النفع على الآخر وهو العلم بمعنى انَّ الثاني يوجد اذا وجد الاول ولم تقيد العلم ولا النفع بشيءٍ من القيود فاذا قلنا ﴿العلم

صحيح نعتاً له بخلاف المسند فانه على اطلاقه فاذا قلنا ﴿العلم الصحيح نافع لصاحبه﴾ كان لنا حينئذ جملة بسيطة مقيدة الموضوع والمحمول او المسند اليه والمسند معاً فان العلم مقيد بالصحة والنفع مقيد بانه حاصل لصاحب العلم كما ترى

واعلم ان الفعل لما كان يدلُّ وضعاً على نوع الزمان من دون تعيين كقام فانهُ يدلُّ على قيام في الزمن الماضي الاَّ انه لا يتعين معه ذلك الزمان فيما اذا كان البارحة او اوَّل البارحة او الشهر الماضي او ما قبله لم نعدُّ تقيده الوضعي هذا بالزمان قيداً له وعليه فجملة ﴿العلم ينفع﴾ نحسبها بسيطة مطلقة وان كان المسند فيها مقيداً بحسب وضع الفعل بزمان الحال أو الاستقبال وكذلك جملة ﴿ذهبَ زيدٌ﴾ فانا لانقول فيها ان المسند مقيد بالزمان الماضي بل نحسبها مطلقةً وذلك (اولاً) لان هذا القيد انما هو من اصل وضع الفعل (ثانياً) انهُ لايدلُّ كما تدلُّ البارحة واول البارحة على زمن معين محدود ويمكن تقييدهُ بها وبغيرها من القيود الزمانية كقولنا ﴿ذهب اليوم صباحاً او البارحة مساء او اول البارحة﴾ وهلمَّ جرًّا ثم ان هذا القيد الوضعيَّ للفعل يستغرق كلَّ الزمن الماضي والماضي غير محدود ولا متناهٍ واذا كان القيد على هذه الصورة لا يحسب قيداً كما لا يحسب القيد في رجل الفرس قيداً اذا طال حتى لا يمكنك معه ان تجعل لحركة الفرس في جهة واحدة حدًّا معلوماً ولا تستطيع ايقافها به عن تلك الحركة في تلك الجهة . هذه حجتنا في عدم جعل دلالة الفعل وضعاً على الزمان قيداً لهُ

—﴿ امثلة على الجملة البسيطة المطلقة ﴾—

العلم نافع · المال قوّة · الادب جمال · الظالم مكروه · النافع محبوب · الفراغ مفسدة · الجهل يشين · العلم يزين · سافر زيد · طلعت الشمس · غابت النجوم · اجتهد · لا تتكاسل · الموت حق · النفر مصيبة

—﴿ تنبيه ﴾—

اعلم ان الصفة اذا نابت مناب الموصوف في جملة كقولنا ﴿ الظالم مكروه ﴾ اعتبرنا تلك الجملة بسطية مطلقة فاذا ذكرت معه كقولنا ﴿ الحاكم الظالم مكروه ﴾ اعتبرنا الصفة قيداً لموضوع الجملة وحسبنا الجملة بسيطة مقيدة وتعليل ذلك لا يخفى على المتامل لان الجملة البسيطة المطلقة انما هي ما جمعت بين تصورين مطلقين محمولاً احدهما على الآخر من دون تقييد وهذا متحقق في جملة الظالم مكروه فانه ليس فيها الاّ تصوّران مطلقان وهما الظالم والمكروه واحدهما محمول على الآخر بخلاف جملة الحاكم الظالم مكروه فان هنالك ثلاثة تصوّرات او تصوّرين احدهما وهو الحاكم مقيد بالظالمية محمولٌ عليه الآخر كما لا يخفى فلا يشتبهُ عليك الفرق بينهما

﴿ الجملة البسيطة المقيدة ﴾

تتقيد الجملة البسيطة بتقييد موضوعها (المسند اليه) او محمولها

—﴿ امثلة على ما مر ﴾—

حب العلم فضيلة · دوام الحال من المحال · زينة التلميذ الاجتهاد · الرغبة في الخير خير · الزهد في الدنيا غنى · القيام صباحاً نافع · العلم الصحيح غنى · قدم الحجاج كلهم · العلم كثيرهُ وقليلهُ نافع · الشر كثيره وقليلهُ ضار · اخوك زيد فاضل · العلم والجاه يجتمعان · العلم والمال قد يفترقان · الكريم مع فقره كريم · والبخيل مع غناه بخيل · جاء زيد راكباً · اشتعل الراس شيباً · مالي مال الادرهم · لا اله الاّ الله

—﴿ تنبيه ﴾—

قد ياتي المسندُ اليه مقيداً باكثر من قيد واحد من القيود المارّ ذكرها وقد يمكن تحويل القيد من صورة الى صورة اخرى مع بقاء معنى الجملة على حالهِ وقد يمكن تقييد القيد بقيد اخر ايضاً

—﴿ امثلة على التقييد باكثر من قيد ﴾—

الزهد الصحيح في زخرف الدنيا غنى · العلم كلهُ كثيره وقليلهُ نافع · الجهل كلهُ كثيره وقليلهُ ضارٌ · قدم حجاج بيت الله كلهم · المال والجاهُ على تلازمهما يفترقان · العلم والمال على تبايهما يجتمعان

زيادة المرء في دنياهُ نقصان وفعلهُ غير تقوى الله خسران

—﴿ امثلة على امكان تحويل القيد من صورة الى صورة اخرى ﴾—

طاب زيد نفساً او طابت نفس زيد · العلم كلهُ نافع او كل العلم نافع · العلم كثيره وقليلهُ فضيلة او كثير العلم وقليلهُ فضيلة · المال والجاه المتلازمان قد يفترقان او المال

تنبيه

انّا اكتفينا بما ذكرناه من الامثلة اعتماداً على ان المطالع النبيه يمكنهُ ان يصوّر لنفسه الكثير من الامثلة التي يتقيد فيها المسند اليهِ بقيد او بعدة قيود وكذلك الامثلة التي يتقيد فيها القيد نفسه · ويمكنه ايضاً اذا اراد تحويل صور القيود من غير اخلال بمعنى الجملة واما التلميذ فعلى المعلم ان يطلب منهُ امثلة على قدر ما يرى الحاجة ماسة ترويضاً لذهنه وقصداً لتنبيه خاطره الى ما لا يكون قد تنبه اليه من ذي قبل

تقييد محمول الجملة او المسند

يتقيد محمول الجملة اما بقيد او بعدّة قيود من القيود الآتي ذكرها وهي الفاعل مضافاً الى ضمير الموضوع او مذكوراً بعد ضمير منصوب يرجع اليه اي الى الموضوع او المفعول به · والمفعول المطلق والمجرور والزمان والمكان والسبب والاضافة والنعت والتوكيد والبدل والعطف · وكل ذلك قد يكون مع اطلاق المسند اليه او مع تقييدهِ على ما مرّ واليك بعض الامثلة للتوضيح

(١) الكريم لا يخفى كرمهُ · والصديق لا تخفى صداقتهُ · والعدو لا تخفى عداوتهُ او كقول ابي العلا والحسن يظهر في شيئين رونقهُ (٢) نجاسة الثوب يطهرها الماء · ونجاسة الذنوب تطهرها التوبة (٣) القناعة تستر الخلة · يعدُّ عليه الواشيان ذنوبة (٤) بالتدبير يكثر القليل · العرب

(٧) الجمال جمال الاخلاق · والقبح قبح الافعال (٨) انت الخل الوفي (٩) اعدل ملوك الفرس كسرى انوشروان (١٠) قام حقاً قام ربُّ المعجزات · مخافة الله العلم كلهُ (١١) الكلمة اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ (١٢) صن سمعك عن سماع القبيح كصون لسانك عن ذكره · وهكذا

تقييد المسند اليه والمسند معاً

يمكن في الجملة الواحدة ان يتقيد كل من المسند اليه والمسند معاً بقيد او باكثر من قيد من القيود المار ذكرها وقد يمكن ان يكون القيد مقيداً ايضاً حتى يصير الفكر الواحد المدلول عليه بالجملة مولفاً من تصوُّرات شتى متعددة تبلغ كتابة الى بضعة اسطر وكل ذلك لا يخفى على المتامل بعد ان وقف على ما ذكرناه ومثلنا به من تقييد كل من المسند والمسند اليه على حدته

مطلوب

على المعلم ان يطلب من التلميذ احضار امثلة على قدر ما يراه مناسباً يكون فيها كل من المسند اليه والمسند مقيدين بقيد او عدة قيود وفقاً لما مرَّ به قبلاً والاولى ان تكون تلك الامثلة بعضها من عند نفسه وبعضها

هل تعتبر النواسخ قيوداً

تدخل النواسخ على المبتدا والخبر كما علمت من ابحاث النحو والنواسخ اما ان تكون افعالاً كباب كان واخواتها و باب كاد واخواتها وباب ظنّ واخواتها . واما ان تكون حروفاً كما ولا وليس (فان معنى الفعلية منتف من هذه الاخيرة فهي في حكم ما كما لا يخفى) وكالحروف المشبهة بالافعال . ولنا في حسبان النواسخ قيوداً برهانٌ يتجاذ به طرفا التسليم والانكار يمكن للمطالع ان يتجاوزهُ الى غيره من الابحاث التابعة الاّ من قصد الرياضة الذهنية واحب ان يشحذ قواه العاقلة بمثل هذه المسائل المعنوية

واليك هو

اذا قلنا ﴿ زيد مريض ﴾ فالجملة بسيطة مطلقة لان المسند فيها محمول على المسند اليه من دون قيد ومدلولها انّ زيداً والمرض مجتمعان معاً واما زمان هذا الاجتماع فاذا لم يكن في الجملة لفظة اخرى تدلُّ عليه تعين ان يكون زمن الحال ضرورة (وسيرد معنا فيما يأتي زيادة تفصيل في دلالة الصفة على الزمان)

ثم اذا قلنا ﴿ مرض زيد ﴾ فالجملة ايضاً بسيطة مطلقة ومدلولها ان زيد والمرض اجتمعا معاً في الزمن الماضي من غير قيد يحدد زمان ابتداء هذا الاجتماع وقيد الزمان المدلول عليه وضعاً بالفعل لا يعدُّ قيداً وقد اثبتُّ ذلك فيما مرّ بخلاف ما اذا قلنا مرض زيد البارحة فان لفظة البارحة قيدٌ للفعل

وبناءً على ما قدمناهُ نقول انا اذا ﴿ قلنا كان زيد مريضاً ﴾ دلت هذه الجملة على ان المرض و زيد اجتمعا في الزمن الماضي وبهذا فارقت دلالة ﴿ زيد مريض ﴾ ودلت ايضاً على ان هذا الاجتماع منفك في الحال وبهذا فارقت دلالة ﴿ مرض زيد ﴾ وذلك يحملنا على القول انها اي جملة ﴿ كان زيد مريضاً ﴾ مقيدةٌ وان لفظة كان قيد لا تنا بزيادتها اردنا انّ الاسناد تقيد بالزمان الماضي من جهة وانتهى في الحال من جهة اخرى وهذه الدلالة من جهتيها مجعولة قصداً والدال عليها لفظة كان فهي اذن قيد كما كانت لفظة البارحة في قولنا مرض زيد البارحة قيداً الاّ ان البارحة قيدت الزمن من جهة بداءته وكان من جهة نهايته فلا يذهب عليك هذا والله اعلم

هل تعتبر ادوات النفي قيوداً

اذا قابلنا بين جملتين احداهما مثبتة كقولنا ﴿ ذهب زيد ﴾ والاخرى منفية كقولنا ﴿ ماذهب زيد ﴾ تبادر الى الذهن في بادي الرأي انّ الجملة الثانية تزيد على الاولى بتصوُّر ثالثٍ هو النفي قيداً لمحمولها و بناءً على هذا التبادر يحكم عليها انها مقيدة وان اداة النفي قيدٌ ايضاً لتحقق معنى القيد فيها بحسب الظاهر لان القيد في الجملة انما هو لفظ غير لفظ المسند اليه والمسند يدلُّ على تصوُّرهِ تعلُّق باحداهما او باحد متعلقاتها على انا بعد امعان النظر يظهر لنا فساد هذا الحكم وفسادهُ انما جاء من قبيل ما تبادر كما قلنا من

والذهاب ﴿المحمول﴾ والنفي المدلول عليه بما قيدًا للمحمول والحال ان ليس هنا لك الاَّ تصوُّران وهما زيد والذهاب على ما في جملة ﴿ ذهب زيد﴾ الاَّ انَّ الحمل في ذهب زيد وجوديٌّ بمعنى ان المحمول وجد مع الموضوع بخلاف الحمل في ﴿ ما ذهب زيد ﴾ فانهُ عدميٌّ بمعنى ان المحمول لم يوجد مع وجود الموضوع لان هنا لك موضوعاً ومحمولاً وتصوُّرًا اخر وجودياً مدلولاً عليه باداة النفي على مثل ما هو الواقع في قولنا ﴿ ذهب زيد البارحة ﴾ فان في هذه الجملة ثلاثة تصوُّرات وجودية هي زيد والذهاب والبارحة والحمل فيها على ان المحمول وجد مع وجود الموضوع في هذا الزمان المعين المدلول عليه بلفظة البارحة

وبناءً على هذا الفارق الظاهر كل الظهور ما بين لفظة البارحة واداة النفي نعتبر ان جملة ﴿ ذهب زيد البارحة﴾ جملة بسيطة مقيدة بخلاف جملة ﴿ ما ذهب زيد ﴾ فانها بسيطة مطلقة ونعتبر ايضاً البارحة وامثالها قيودًا دون ادوات النفي واشباهها وان عدَّت من جملة النواسخ · هذا ومع ان فيما مرَّ كفاية لترجيح مستندنا في عدم اعتبار حرف النفي وشبهه قيدًا للجملة الاَّ انا نزيد مثلاً اخر لزيادة الايضاح وعمدتنا الافعال الدالة على النفي بوضعها كأبى فانها بمعنى لم يرض فاذا قلنا ﴿ابى زيد ان يقيم في بيروت﴾ و﴿ لم يرض زيد ان يقيم في بيروت ﴾ كان لنا جملتان بمعنى واحد ولا يخفى ان قيد ﴿ان يقيم في بيروت ﴾ مشترك فاذا طرحناهُ بقيت الجملتان على هذه الصورة ﴿ ابى زيدٌ ﴾ و ﴿ لم يرض زيد ﴾ وهما بمعنى واحد والاولى

﴿ تبديل صورة الجملة البسيطة المقيدة من غير اخلال بمعناها ﴾

ويكون ذلك بتبديل القيود فيها من صورة الى صورة اخرى مع بقاء معنى الجملة على حاله كقولك ﴿ ادب المرء يزيده كرامة ﴾ فانه يمكنك تبديل صورتها على ما ياتي

(١) الادب في المرء يزيد في كرامته
(٢) المرء الاديب يزيدهُ الادب كرامة
(٣) يزيد الادب المرء الاديب كرامة
(٤) يزيد الادب في كرامة المرء الاديب

وهكذا · ومثله قول القائل

فالحسن يظهر في شيئين رونقهُ بيت من الشعر او بيت من الشَعر

فانهُ يمكن تبديلهُ الى ما ياتي من غير اخلال بالمعنى ومع بقاء الجملة بسيطة مقيدة ايضاً

(١) يظهر رونق الحسن في شيئين بيت من الشعر او بيت من الشعر
(٢) يظهر رونق الحسن في شيئين في بيت الشعر او بيت الشعر
(٣) رونق الحسن يظهر في شيئين في بيت من الشعر او في بيت من الشعر
(٤) رونق الحسن يظهر في شيئين في بيت شعر او في بيت شعر

وهكذا · على ان اختيار صورة من هذه الصور يرجع الى ذوق المتكلم او الكاتب ولا بدَّ في ذلك من مراعاة المناسبة في الزمان والمكان والمجاورة والوزن والقافية وغير ذلك من المناسبات التي يقتضيها الحال

وعلى الاستاذ ان يمرّن التلميذ على تبديل صورة الجملة من غير اخلال بمعناها ولا مخالفة للقوانين النحوية المتعارفة الى ان يتقن علم ذلك مع السرعة

التصرف فيها من جهة اخرى

— امثلة —

يطلب فيها من التلميذ ان يبين القيد والمقيَّد على التفصيل

(١) مجدي اخيرًا ومجدي اولاً شرع (٢) العلم في الصغر كالنقش في الحجر

(٣) البخل خير من سؤال البخيل (٤) غرر البحتري ووسائط قلائده وابيات قصائده اكثر من غرر ووسائط وابيات غيره من الشعراء المجيدين

(٥) سقتني في ليل شبيهِ بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب
فما زلت في ليلين شعر ومن دجى وشمسين من راح ووجه حبيب

(٦) ما اقبح الخضوع عند الحاجة والتيه عند الغنى (٧) الملك حلو الطعم مر التكاليف (٨) شيئان لا يستعملان عند الملوك التسليم والتشميت (٩) انا اقدم في وزارتي على كل شيء الاَّ على هتك الحرم واستئصال النعم (ابو علي البلعمي) (١٠) العيش في شيئين محادثة الاخوان والانقلاب الى كفاية (١١) اشدُّ امور الدنيا واصعبها محاربة العدو وركوب البحر (١٢) اول المؤمنين بالنبي اربعة ابو بكر من الكهول وزيد بن حارثة من الشباب وعلي بن ابي طالب من الصبيان وخديجة زوجته من النساء

الجملة المركبة

اذا قيدنا الجملة البسيطة المطلقة بقيد من القيود التي اشرنا اليها كان لنا على ما مرَّ بك الجملة البسيطة المقيدة الاَّ انَّ القيد قد يكون جملة فيجتمع معنا اذ ذاك جملتان او اكثر احداها اصلية مقصودة بالذات لا يمكن الاستغناء عنها بحسب الصناعة اللفظية والاخرى فرعية قيدًا لموضوع الاولى

الجملتين او هاتيك الجمل هي الجملة المركبة في تقسيمنا وبيانًا لذلك نقول ان جملة ﴿ الماء عنصر ضروري للحياة ﴾ مثلاً جملة بسيطة مقيدة المحمول والقيد مفرد ايضاً كما لا يخفى فاذا قيدنا موضوعها بقيد هو جملة وقلنا مثلاً ﴿ الماء وهو مؤلف من الاوكسجين والهيدروجين عنصر ضروري للحياة ﴾ او قيدنا محمولها وقلنا ﴿ الماء عنصرٌ يضطر اليه كلُّ ذي حياة ﴾ او لو قيدنا كلاً من موضوعها ومحمولها وقلنا ﴿ الماء وهو مؤلف من الاوكسجين والهيدروجين عنصرٌ يضطر اليه كل ذي حياة ﴾ كانت كل صورة من الصور الثلاث المارّة جملة مركبة اي جملة مشتملة على جملة اصلية مقصودة بالذات لا يمكن طرحها بحسب الصناعة اللفظية وجملة اخرى او جملتين فرعيتين يمكن الاستغناء عن كل منهما او عن كليهما معًا كما يستغنى عن القيد المفرد في الجملة البسيطة المقيدة والمقصود من الاستغناء هنا ان الكلام يستقل بنفسه ويسمى جملة باعتبار الصناعة النحوية وان كان لا يستقل بالنظر الى المعنى المراد ايضاحه والتعبير عنه . فالفارق اذًا بين الجملة البسيطة المقيدة وبين الجملة المركبة انما هو في نوع القيد لا غير فاذا كان مفردًا كانت الجملة بسيطة مقيدة او جملة كانت الجملة مركبة ولزيادة الايضاح نزيدك امثلة من البسيطة المقيدة الاَّ انها بتحويل قيدها المفرد الى صورة الجملة تنقلب الى مركبة مع بقاء معناها الاصلي على حاله

﴿ امثلة ﴾

(١) العالم العامل بموجب علو مكرّم (١) العالم اذا عمل بموجب علو مكرّم
(٢) الكريم مع فقره كريم (ب) الكريم وان كان فقيرًا كريم
(٣) العلم يرغب الناس فيه حين (ج) العلم يرغب الناس فيه اذا استفادوا منه استفادتهم منه
(٤) جاء زيد ماشيًا على قدميه (د) جاء زيد يمشي على قدميه
(٥) جاء زيد طلوع الشمس (ه) جاء زيد وقد طلعت الشمس
(٦) هربت خوفًا من القتل (و) هربت لاني خفت من القتل
(٧) الصابر ينال بغيته (ز) من صبر نال بغيته

﴿ تنبيه ﴾

الجملة المركبة ينبغي ان تشتمل على اسنادين في الاقل احدهما قيد لموضوع الجملة الاصلية او لمحمولها وهذا متحقق في سائر الجمل المتقدمة عليها الاعداد الابجدية

﴿ ما يدخل تحت الجملة المركبة ﴾

(١) الجملة الشرطية وجوابها (٢) القسمية وجوابها (٣) الطلبية وجوابها (٤) المنفية وجوابها (٥) الندا وجوابه (٦) القول ومقولته (٧) الجملة الداخل اسم الموصول فيها اما موضوعًا او محمولًا او قيدًا. جميع هذه نحسبها داخلة تحت الجملة المركبة

بقي علينا بعض صور لا يمكننا ادخالها تحت الجملة المركبة الاّ مع

او الخبر او الفاعل او نائب الفاعل بحسب الصناعة النحوية نحو ﴿ عندي ان الفقر خير من الغنى مع التقتير ﴾ ونحو ﴿ الحق ان القناعة كنزٌ لا يفنى ﴾ ونحو ﴿ بلغني ان الحرب الصينية على وشك الانتهاء ﴾ ويلحق بهذه ما كان المسند اليه بصورة أنْ والفعل المضارع كقولك ﴿ ان تدرس خير لك ﴾ ووجه التكلف انما هو في تقدير مسند اليه وجعل ان والفعل المضارع او انّ واسمها وخبرها قيدًا لهذا المقدر فتنطبق الجملة اذ ذاك على الحد الذي حددنا به الجملة المركبة واليك بيان ما نريده

اذا قلت ﴿ عندي ان الفقر خير من الغنى مع التقتير ﴾ لم يتحقق في هذه الجملة حد الجملة المركبة الاّ اذا جعلت الظرف خبرًا لمبتدا محذوف تقديره هذا وان وما بعدها قيدًا لاسم الاشارة المقدر يفسر ما فيه من الابهام فكانما كان اصل الجملة على ما يأتي ﴿ عندي هذا ان الفقر خير من الغنى مع التقتير ﴾ فحذف المفسّر واقيمت الجملة المفسّرة مقام المحذوف فاغنت عن ذكره فانه على هذا التكلف بالنظر الى الصناعة النحوية يتهيأ لنا جملتان احداهما قيد لموضوع الاخرى او لمحمولها فتنطبق الجملة حينئذٍ على حد الجملة المركبة كما لا يخفى والله اعلم

﴿ في بيان ان الجملة الشرطية جملة مركبة ﴾

لا يخفى ان الشرط والجواب جملتان حكمها حكم الجملة الواحدة لارتباط كل من الشرط والجواب بالاخر وعدم افادته بدونه الاّ انها

حد المركبة لان احدى الجملتين لا تنزّل من الاخرى منزلة القيد المفرد على اننا بعد امعان النظر يمكننا ردها الى بسيطة مقيدة وفي هذا الرد دليل على ان احداها تنزل من الاخرى منزلة القيد المفرد فيتعين اذن انها من قبيل المركبة

مثال ذلك جملة ﴿ ان قام زيد قمت ﴾ واشباهها فانها يمكن ردها الى احدى صورتين من غير اخلال بالمعنى المقصود منها وهما (١) قيامي مترتب على قيام زيد او (٢) اقوم حين قيام زيد . وكلا الصورتين من قبيل البسيطة المقيدة

هذا اذا كانت (ان) اداة الشرط واما اذا كانت الاداة غيرها فليس من صعوبة اصلاً في ردّ الجملة الى مركبة وانطباق الحد عليها واضح كل الوضوح كقولك من تانى نال ما تمنّى ومن صبر ظفر وكقولك متى تذهب اذهب وحيثما تذهب اذهب فانك اذا اعربت (من) مبتداء والفعل بعده صلة لهُ ظهر لك من الاعراب انها مركبة لان المسند اليه تقيد بجملة الصلة واما متى وحيثما فاذا تعلقتا بالجواب كانتا قيداً لهُ وهما مقيدتان بالاضافة الى الجملة بعدهما فلنا اذ ذاك جملة قيد القيد فيها جملة فهي اذن مركبة لانطباق الحد عليها فتأمل

﴿ بيان رد الجملة القسمية وجوابها الى جملة مركبة ﴾

﴿ والله ما قلت زيداً ولا مالأت على قتله ﴾ وترد هذه الجملة الى احدى

قتله فتكون جملة ما قلت زيداً ولا مالأت على قتله قيداً يفسر ما في اسم الاشارة من الابهام واما (٢) الى احلف بالله على اني ما قلت زيداً ولا مالأت على قتله فتكون على ومجرورها الجملة بحسب الصناعة اللفظية قيداً لفعل القسم كما هو ظاهر ولا يلتبس على المحقق انه يصحّ في الصورة الثانية ايضاً تقدير مجرور «على» اسم اشارة وتجعل جملة ان تفسيراً لما فيه من الابهام على ما في الصورة الاولى

﴿ بيان ردّ جملة الطلب وجوابها الى جملة مركبة ﴾

وهي كقول القائل لاتهَ عن خلق وتاتي مثله او كقول بعض الصحابة يارسول الله لا تشرف يصبك سهمٌ او كقول المتنبي

الم يسأل الويل الذي رام ثلبنا فيخبره عنك الحديد المثلم

فان جملة الجواب لا تخلو اما ان تكون بمعنى الحال او بمعنى السبب او التعليل كما لا يخفى وكلٌ من الحال والسبب قيدٌ من قيود الجملة كما علمت فقس على هذه الامثلة غيرها من انواع الجملة الطلبية وجوابها

﴿ بيان ردّ الجملة المنفية وجوابها الى جملة مركبة ﴾

وذلك لان الجواب (ويكون مقترناً بفاء السبب او بالواو التي بمعنى مع) اما ان يكون سبباً للمنفي او حالاً عن متعلق من متعلقاته وفي كلا الحالتين تكون جملة الجواب قيداً فتكون الجملتان معاً جملة مركبة لان احداها تنزل

جملة الندا وجوابه

اذا كان المنادى مفرداً كقولهِ

أمير المومنين جمعت دينًا وحلمًا فاضلاً لذوي الحلوم

وكقول الاخر

بني عامر هل تعرفون اذا غدا ابو مكنفٍ قد شدَّ عقدَ الدوابر
بجيشٍ تضلُّ البلق في حجراتهِ ترى الأكم منهُ سجدًا للحوافر
وجمعٍ كمثل الليل مرتجسِ الوغى كثير تواليهِ سريع البوادرِ

او كقول الاخر

يا ربي قد عبث البياض بلمتي ولكنَّ وجهي بالمعاصي اسودُ

فجملة الندا والجواب حكمها حكم جملة الجواب وهي في المثل الاول بسيطة مقيدة وفي الثاني مركبة وفي الثالث مولفة وفقًا لجملة الجواب كما ترى

واما اذا كان مقيدًا بجملة كقول القائل

فيا ابنَ المطعمين اذا شتونا ويا ابن الذائدين عن الحريم
سما بك خالدٌ وبنو هشام الى العلياء في الحسب الجسيم

او كقول الاخر

ايها المادح العباد ليعطى ان لله ما بايدي العباد

فالجملة ابدًا من قبيل المركبة او المؤلفة

بقي علينا القول ومقولتهُ وردُّها الى الجملة المركبة واضحٌ لا يحتاج فيه الى زيادة ايضاح واللبيب تكفيه الاشارة

تذييل

في العطف بالواو الدالة على الجمع

اذا عطفنا بها على المسند الفعل نحو قال وفعل زيد ونحو قول القائل

ما صاب قلبي واخناه وتيمه الاَّ كواعب من ذهل بن شيبانا

او اذا عطفنا بها على المسند الخبر وكان فعلاً كقولنا

زيد وعد ووفى بوعدهِ

فالجملة من قبيل المركبة وكذلك تحسب الجملة من قبيل المركبة اذا كانت الواو حالية في نحو قولنا جاء زيدٌ ويده على قائم سيفه او كانت صدر جملة تفسيرية في نحو قولنا الماء وهو مركب من الاوكسيجين والهيدروجين عنصر ضروري للحياة اما اذا كانت للاستئناف نحو ودعا الله الجلد سماء وكان مساء وكان صباح يوماً ثانيًا فالجملتان مستقلتان والفصل تام بينهما

امثلة على الجملة المركبة

(١) لما تؤذن الدنيا بهِ من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
اذا ابصر الدنيا استهل كأنهُ بما سوف يلقى من اذاها يهددُ

(٢) رأيتكم تبدون للحرب عدة ولا يمنع الاسلاب منكم مقاتل
فانتم كمثل النخل يدرع شوكهُ ولا يمنع الحرَّاف ما هو حامل

(٣) قد شرَّف الله ارضًا أنت ساكنها وشرَّف الناس اذ سوَّاك انسانًا

(٤) ومن تكد الدنيا علي الحرّ ان يرى عدوًّا لهُ ما من صداقتهِ بدُّ

(٥) ولا تشكنَّ الى خلق فتشمتهُ شكوى الجريح الى الغربان والرخم

(٧) لا تلقَ دهرك الاّ غير مكترث ما دام يصحب فيور وحك البدنُ
(٨) تصفو الحياةُ لجاهلٍ او غافل عما مضى منها وما يتوقع
(٩) الصبر على ما تكرههُ وتحويهِ · يؤدّيك الى ما تحبهُ وتشتهيهِ
(١٠) من ضيع امره ضيع كل امر · ومن جهل قدره جهل كل قدر
(١١) الحازم من حفظ ما في يده · ولم يؤخر امر يومهِ الى غده
(١٢) اتمم سيفك ما ناب عنهُ لسانك واشمل على عدوّك اذا اصلحهُ احسانك
(١٣) من لا عقل لهُ يفسد من حيث يريد ان يصلح
(١٤) العفو احتمال الذنب الذي لا يكون عن عمد ولا يقضي فيهِ بحد · فاما ذنب يرتكب عمدًا ويوجب حدًّا فاحتمالهُ ترخيص في الذنوب والتجاوز عنهُ ابطال للحدود · وهو مما يفسد السياسة ويوهن الشريعة والديانة
(١٥) كل امر لا يداري قبل ان يستفحل ولا يستدرك قبل ان يستكثر يعجز عنهُ مداويهِ ويصعب تداركهُ وتلافيهِ

بسط الجمل وقبضها

اعلم انه يمكن تحويل الجملة البسيطة المقيدة الى مركبة ويمكن على العكس ردُّ الجملة المركبة الى بسيطة مركبة من غير اخلال بمعنى الجملة وذلك ببسط الجملة او بقبضها ونعني ببسطها تحويل قيدها او قيودها عن صورة المفرد الى صورة الجملة وبقبضها تحويل قيدها او قيودها من صورة الجملة الى صورة المفرد مثال ذلك جملة ﴿ الحق الظاهر لا يقوى احد على انكاره ﴾ فانها بسيطة مقيدة فاذا بسطتها فقلت ﴿ الحق اذا ظهر لا يقوى

قبضتها وقلت ﴿ العلم مع الفقر خيرٌ من الجهل مع الغنى ﴾ انقلبت الى بسيطة مقيدة وهكذا

مطلوب بسط الجمل الآتية

(١) المروءة اربع العفاف واصلاح المال وحفظ الاخوان واعانة الجيران
(٢) اربعة الحسب والسرور والقرابة والعقل تحتاج الى اربعة الادب والامن والمودة والتجربة
(٣) السعادة اربع سلامة الخلقة وجودة الحفظ وجودة العقل والتأني في المطلوبات
(٤) الموت اربعة الفراق ثم الثمانة ثم العزل ثم الخروج من الدنيا
(٥) اربعة من امارات العاقل حفظ الصحة واختصار الطرق وتوقي الشنيع من كل ملبس وترك الغلو في كل مذهب
(٦) كسوني من لباس العز اشرفهُ المال والعز والسلطان والجاها
(٧) خير الخدام خادم كاتم السر عديم الشر قليل المونة كثير المعونة صموت اللسان شكور الاحسان حلو العبارة درّاك الاشارة عفيف الاطراف عديم الاتراف
(٨) تعجب الجاهل من العاقل اكثر من تعجب العاقل من الجاهل
(٩) لا بد للعاشق من وقفة بين الصد والصرم
(١٠) ما وهب الله لامرىء هبة احسن من عقلهِ ومن ادبهِ
(١١) الحزم مجرّع الغصص الى نوال الفرص
(١٢) الراحة اربع راحة الجسم وراحة الروح وراحة القلب وراحة اللسان في اربع قلة الطعام وقلة الآثام وقلة الاهتمام وقلة الكلام

مطلوب قبض الجمل الآتية

(١) لا تعاد أحدًا وإنْ ظننتَ انهُ لا يضرُّك ولا ترهد في صداقة أحدٍ وإنْ ظننتَ أنهُ لا ينفعك

(٢) علامات المنافق ثلاثٌ اذا حدَّث كذب واذا وعد أخلف واذا أُؤتمن خان

(٣) الجبن والبخل صفتان تذمَّان في الرجال وتحمدان في النساء

(٤) منْ وجهَ رغبتهُ اليك وَجبتْ اعانتهُ عليك

(٥) الزم الصمت تعدَّ في نفسك فاضلاً وفي جهلك عاقلاً وفي قدرك حكيماً وفي عجزك حليماً

(٦) منْ اسخط سلطانهُ تعرَّض للمنية . ومن أوحش اخوانهُ تبرأ من الانسانية

(٧) من مصائب العلماء وانعكاس حظوظهم ان يصيروا عند من يعلّمونهُ مستجهلين وعند من قدّموهُ مستردلين

(٨) أنا وان كرمت أوائلنا ... لسنا على الاحساب نتكل

(٩) يريك اذا بدا وجهًا ... حكاهُ الشمس والقمر

(١٠) وقد زعموا أن الحبَّ اذا دنا ... يملُّ وأنَّ النأيَ يشفي من الصَّدِ

(١١) لا تحقرَنْ عالمًا وانْ خلقتْ ... أثوابهُ في عيون رامقيهِ

(١٢) من كان عبدًا للحق فهو حرٌّ

(١٣) الحرُّ عبدٌ اذا طمع والعبدُ حرٌّ اذا قنع

(١٤) لا تشرَب السمَّ اتكالاً على ما عندك من الترياق

(١٥) اذا كثرت المقدرة قلت الشهوة

(١٦) لا تنالون ما تحبون الاَّ بالصبر على ما تكرهون

(١٧) الخطُّ هندسةٌ روحانية وان ظهرت بآلة جسمانية

(١٨) من شارك سلطانًا يميل مع هواهُ في عزّ الدنيا شاركهُ في ذلّ الآخرة

الجملة المولفة

قلنا انه اذا اجتمع جملتان او اكثر على ارتباط بينهما بحسب الصناعة اللفظية وامكن تنزيل احداها من موضوع الاخرى او محمولها او من قيد من قيودها (اي الموضوع والمحمول) منزلة القيد المفرد فالجملتان او الجمل في حكم الجملة الواحدة لفظًا ومعنى ويطلق عليهما او عليها اسم الجملة المركبة ونقول هنا انه اذا اجتمع معنا جملتان (او اكثر) ولم يمكن تنزيل احداها بحسب الصناعة اللفظية منزلة القيد المفرد من الجملة الاخرى وكان بينهما مع ذلك تعلق معنوي بحيث لا يتأتى بحسب اعتبار المتكلم او الكاتب فصل الفكر في الواحدة عن الفكر في الاخرى فالجملتان (او الجمل) في حكم الجملة الواحدة معنى وهذا ما نريدهُ بالجملة المؤلفة

وبعبارة اخرى نقول ان الجملة المؤلفة هي جملتان (او اكثر) بينهما تمام الاستقلال بحسب الصناعة النحوية الاَّ انَّ مبنى الفكر معهما من اول الامر انما هو على احضارهما معًا في الذهن لما بينهما من الارتباط المعنوي المترتب اما على علاقة واحدة او اكثر من علاقة واحدة من العلائق المعنوية الآتية

(اولاً) الاستدراك وادواته (١) على ان . كقول الشاعر

بكلِّ تداوينا فلم يشف ما بنا ... على أنَّ قرب الدار خيرٌ من البعدِ

على أنَّ قرب الدار ليس بنافعٍ ... اذا كان من تهواهُ ليس بذي وُدِّ

(ب) غير ان . كقول الآخر

(ت) الاَّ ان · كقول الآخر

حيون الاَّ أنهم في نزالهم أقلُّ حياء من شفار الصوارم

(ث) الا ان · او اللهم الاَّ ان · كقول الحريري

وما قيل في المثل الذي سائرهُ خير العشاء سوافرهُ الاَّ لبجل التعشي ويجتنب اكلُ الليل الذي يعشي اللهم الاَّ ان نقد نار الجوع وتحول دون الهجوع

(ج) لكنَّ · كقول القائل

اذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا ولكنَّ حسنَ القول خالفهُ الفعلُ

وكقول الآخر

فعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكنَّ عين السخطِ تبدي المساويا

(ح) لكنْ · كقول المتنبي

وما تركوكَ معصيةً ولكن بعافُ الورد والموت الشراب

(خ) قد يكون المراد بالاستدراك بيان فصل المستدرك فتحذف حينئذٍ (لكنَّ) وتبقى الواو المصاحبة لها في اكثر مواقعها او تنوب عنها جملة (لاسيما) مثال ذلك قول بعضهم

هم المحسنون الكرَّ في حومة الوَغى واحسنُ منهُ كرُّهم في المكارم

وقول الآخر

الا ربَّ يومٍ لك منهنَّ صالحٍ ولا سيما يومٌ بدارةِ جلجلِ

(ثانياً) السببية وما يساوقها اما على صورة الاستئناف او عطفاً بالفاء نحو قولهِ

وكقول الآخر

أدرك ثقانك انهم وقعوا في نرجس معهُ ابنةُ العنب
فهم بحالٍ لو بصرت بها سبحت من عجبٍ ومن عجب
ربحانهم ذهب على درٍ وشرابهم درَّ على ذهب

وكقول الآخر

احذر معاشرة اللئيم فانهُ يعدي كما يعدي السليم الاجرب

ويساوق السببية التعليل والغاية فمثال الاول انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ومثال الثاني ما جاء في سفر التكوين وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الارض

(ثالثاً) التمثيل · والتمثيل على ما نريد به هو تشبيه مضمون احدى الجملتين بالاخرى بياناً لامكان صحة الاسناد في احداهما سلباً او ايجاباً وقد يكون ذلك مع ذكر اداة تشبيه او بدون ذكرها فمثال الاول قولهُ

فتى عيشَ في معروفهِ بعد موتهِ كما كان بعد السيل مجراهُ مرتعا

ومثال الثاني قول الآخر

ويلاهُ ان نظرت وان هي اعرضت وقع السهام ونزعهنَّ اليمُ

وقول الآخر

من بهنَّ يسهل الهوانُ عليهِ ما لجرحٍ بميتٍ ايلامُ

وقولهُ ايضاً

او كانت الثانية بياناً لوجه الشبه في الاولى بتفصيل احوال المشبه به فمثال الاول قولهُ

بهزّ الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

ومثال الثاني قولهُ

الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد

وكقول الآخر

اني واياك كالصادي رأى نهلاً ودونهُ هوّةٌ يخشى بها التلفا
رأى بعينيهِ ماء عزّ مورده وليس يملك دون الماء مصرفا

وكقول الآخر

وبين الخد والشفتين خال كزنجيٍّ أتى روضاً صباحاً
نحير في الرياض فليس يدري ايجني الورد أم يجني الاقاحا

وكقول الآخر

فانك شمس والملوك كواكبٌ اذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب

ويلحق بهذا الباب ما اذا كانت الجملة الثانية بانياً لوجه الاختلاف المصرح به في الاولى وذلك نحو قول القائل

هوى ناقتي خلفي وقدّامي الهوى واني واياها لمختلفان
نحثُّ فتبدي ما بها من صبابة واخفي الذي لولا الهوى لقضاني

(خامساً) اذا كانت الثانية تشبيهاً اداته كأنّما ومبناه على معنى الاول كقوله

أرى كل ذي ملك اليك مصيره كأنك بحرٌ والملوك جداول

وكقوله ايضاً

(سادساً) اذا كانت الثانية نتيجة او شبه نتيجة عن الاولى وذلك نحو قولهم العالم مؤلف فهو محدث وكقول القائل

قضى سننا مروان امس قضية فما زادنا مروان الاّ تنائيا

(سابعاً) اذا كانت الثانية مشتملة على منطوق الاولى او على مفهوم منها وهذا ما يعبر عنهُ البيانيون باسم التذييل نحو تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب. ونحو يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير. وكقول القائل

لم يبق جودك لي شيئاً اومله تركتني اصحب الدنيا بلا أمل

وكقول الآخر

ولست بمستبق اخاً لا تلمهُ على شعثٍ أي الرجال المهذبُ

(ثامناً) اذا كانت الاولى تمهيداً لما يأتي من الحكم بعدها في الثانية على سبيل التفصيل سواء كان الحكم في الثانية مغايراً للحكم في الاولى او موافقاً لهُ مع زيادة قيد او بعض قيود كقول البشير في انجيل متى سمعتم انهُ قيل للقدماء لا تحنث بل اوف للرب اقسامك واما انا فاقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء لانها كرسيّ الله ولا بالارض لانها موطئ قدميه الخ ونحو قوله ايضاً قد سمعتم انهُ قيل للقدماء لا تزن وأما انا فأقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه ونحو قولهِ ايضاً سمعتم انهُ قيل تحبُّ قريبك وتبغض عدوّك وأما أنا

وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم و يطردونكم.

(تاسعاً) اذا كانت الجمل واقعة في جملة برهانية على سبيل القياس اما كقولهم العالم مؤلف وكل مؤلف حادث او كقول الفخر الرازي في تفسيره ان الشيطان لو قدر على ان يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب ان يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد : وحينئذ وجب ان يقتلهم وان يمزّق تصانيفهم وان يخرّب ديارهم : ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء فلأن يبطل مثله في حق اكابر الانبياء اولى . (الفخر الرازي جزو ٧ وجه ٢٠٢)

(عاشراً) اذا اجملت في جملة ثم فصلت ما فيها من الاجمال في جملة اخرى او في اكثر من جملة كان مجموع ذلك جملة مؤلفة كقول انوشروان اربعة ايام لاربعة اعمال : يوم الغيم للصيد : ويوم الريح للنوم : ويوم المطر للشرب : ويوم الصحو للكسب . وقد يكون انك تجمل في عدة جمل متتابعة ثم تأتي على تفصيل ما أجملت بما يملأ الصفحتين ويكون مجموع ذلك كله جملة مؤلفة (انظر خمس رسائل طبع الاستانة وجه ١٢٦ ـ ١٢٨ في عدد الاربعة . فصل . قالوا العناصر اربعة والحدود اربعة والرياح اربع الخ)

(حادي عشر) اذا كانت الثانية استئنافاً عن الاولى ويراد بالاستئناف ان

قال كيف انت قلت عليل سهرٌ دائم وحزن طويل

وكقول الاخر

زعم العوازل انني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

جواباً عن سوال يتعلق باحد متعلقات الجملة الاولى وعبارة العلامة جلال الدين السيوطي ثم من الاستئناف ما يأتي باعادة اسم من استونف عنه مثل احسن الى زيد زيد حقيق بالاحسان وقول ابي تمام

سلبنا غطاء الحسن عن حرّ اوجه تظل للب السالبيها سوالبا

وجوه لو ان الارض فيها كواكب توقد للساريين كانت كواكبا

(ثاني عشر) اذا كانت الثانية مترتبة على الاولى وتقع عند وقوعها وهذه الثانية ان عطفت عُطِفَتْ بالفاء والاّ ترك معها العطف اصالة نحو قوله

وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحاب

(ثالث عشر) اذا كانت الثانية معطوفة على الاولى بالفاء او ثم او بل على شريطة العطف المعتبرة والمنصوص عليها عند النحاة نحو قولك نزل القوم مساء فارتحلوا صباحاً . وكقول القائل

فالت سليمى مذ رأتني ببابها من الواله الباكي : فقلت غريب

وكقول الاخر

سألتها حين زارت نضوَ برقعها الـ ـقاني وابداع سمعي اطيب الخبر

فزحزحت شفقاً عني سنا قمرٍ وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر

ونحو قول بعضهم

وكقول الاخر

تخبّر من لاقيت انك عائذ بل العائذ المظلوم في سجن عارم

(رابع عشر) اذا كان العطف بالواو على شرط ان يكون الجامع بين الجمل المعطوفة بيناً واضحاً لما هنالك من العلاقة الذهنية الموجبة حضور الواحدة في الذهن عند حضور الاخرى وذلك كما اذا كان الجامع مبنياً على التضاد كقولك خير الناس من نفع الناس وشرُّ الناس من اضر بالناس وكقولك من الناس من يسعده الجهل ومنهم من يشقيه العقل وكقول القائل

فان هجرتني شيبتني بهجرها وان واصلتني شيبتني بطيبها

ونحو قول المتنبي

از ورهم وسواد الليل يشفعُ لي وانني وبياض الصبح يغري بي

او مبنياً على العكس كقولك زيد باطنهُ خير من ظاهره وعمر ظاهره خير من باطنه. ومثله قولك. فلان كثير القول قليل الفعل وفلان قليل القول كثير الفعل. او كان الجامع زمانياً والمقصود تعداد الحوادث التي وقعت فيه ومثله اذا كان المراد تعداد الحوادث المتعاقبة التي لها علاقة بشيء واحد على حسب ما وقعت اولاً فاولاً فمثال الاول ما ورد في سفر الملوك الثاني في الشهر الخامس في سابع الشهر الخ جاء نبوزرادان رئيس الشرط عبد ملك بابل الى اورشليم: واحرق بيت الرب وبيت الملك:

وفي السنة التاسعة لملكه في الشهر العاشر في عاشر الشهر جاء نبوخذ ناصر ملك بابل هو وكل جيشه على اورشليم: ونزل عليها وبنوا عليها ابراجاً. ومثال الثاني وقتلوا بني صدقيا امام عينيه: وقلعوا عيني صدقيا. وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاؤا به الى بابل.

ويلحق بهذا الباب ما اذا اردت حكاية ما وقع في مجلس واحد على طريق السوال والجواب على انه لا يلزم هنا الوصل بين الجمل لاستقلالها في الاصل ومثالهُ ما حدث بعضهم قال. قيل لا نشروان اي الخير او في: قال الدين قيل فايُّ العُدد اقوى: قال العدل: قيل فايُّ الاعمال ابقى: قال الخير. فانَّ جميع هذه الجمل هي في حكم الجملة الواحدة ومثلهُ حديث انوشروان وبزرجمهر. قال انوشروان لبزرجمهر ايُّ الاشياء خير للمرء قال عقل يعيش به: قال فان لم يكن: قال فاخوان يسترون عيبه: قال فان لم يكن: قال فمال يتحبب به الى الناس: قال فان لم يكن: قال فعيٌّ صامت: قال فان لم يكن: قال فموت جارف

(خامس عشر) اذا كانت الجملتان بعد ليس وانما او بعد لا ولا او كانت الاولى امراً والثانية نهياً مثال الاول قول بعضهم

ليس من يقطع طرقاً بطلاً انما من يتقي الله البطل

وكقول الاخر

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء

ومثال الثاني قول بعضهم لا ترجُ من لا يرجو خيرك ولا تأمن

ومثال الثالث قوله يا ابني احفظ شريعة ابيك ولا تنسَ شريعة امك

(سادس عشر) اذا كانت الثانية معطوفة بحتى ولا محل لها من الاعراب

كقولك مرض زيد حتى لا يرجونه وكقول القائل

فخافوك حتى ما لفتل زيادة وجاؤك حتى ما تراد السلاسل

فان كان للثانية محل من الاعراب فالجملة من قبيل المركبة كقول الشاعر: سريت بهم حتى لكلّ مطيهم· بنصب المضارع ويحتملها الحديث كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه او ينصرانه فان نصبت المضارع (يكون) كان التقدير كل مولود يولد على الفطرة ويستمرّ عليها الى زمن ان يكون ابواه هما اللذان يهوّد انه وان رفعته كانت الجملة على الاستئناف اي كل مولود يولد على الفطرة ويكون ابواه الخ فتدبر· هذه بعض الملاحظات في شان الجملة المؤلفة لا تخلو من فائدة فانها ان لم تكن حاصرة فالواقف عليها يهتدي معها الى تمييز المولفة اذا احسن اعتباره للحد الذي حددناها به وزد عن ذلك فانها تنبه الخاطر الى ما بين الجمل من العلاقات المعنوية وحسبنا ما بذلك من الفائدة والله يعلم وانتم لا تعلمون

تنبيه

اعلم ان الجملة المولفة لا تخلو من ان يكون فيها الجملتان بسيطتين او مركبتين او مختلفتين اي احداها بسيطة والاخرى مركبة فان كانت على الصورة الاولى نحو والله يعلم وانتم لا تعلمون تحققت فيها التسمية بالمؤلفة والاّ فهي مركبة مؤلفة وكل ذلك لا يخرج عن الاصطلاع فاعلمهُ ثم انهُ اذا اجتمع معنا جملتان مستقلتان بحسب الصناعة

القسم الثاني

في ما يعرض لاجزاء الجملة من التقديم والتأخير والحذف والذكر

والتعريف والتنكير والاتباع والفصل

كان كلامنا في ما مرَّ عن الجملة من حيث هي واقسامها واردنا بذلك توجيه خاطر المطالع الى ما بين اجزائها من العلاقات اللفظية والمعنوية علماً منا ان ذلك لا يخلو من فائدة اقلها ترويض الذهن وغرضنا الان النظر فيما يعرض لاجزاء الجملة من التقديم والتاخير الى غير ذلك مما ذكر اعلاه ولسهولة البحث رأينا ان نقسم الجملة الى فعلية واسمية فنقول والله المستعان في تسديدنا الى الصواب

الجملة الفعليّة

الجملة الفعلية ما تألفت من الفعل ومتعلقاته وهي الفاعل والمفعول به والمجرور والمصدر والزمان والمكان والسبب· واهمُّ هذه المتعلقات الفاعل فانه لا يستغنى عنه بوجهٍ من الوجوه لتعذر قيام الفعل بنفسه كما لا يخفى بخلاف غيره من بقية المتعلقات فانها كلها قد يستغنى عنها اما بحسب الصناعة اللفظية او بحسب المعنى كما اذا اردت الاخبار عن تعلق الفعل بالفاعل لاغير او طلبت حصوله او تركه من الفاعل المخاطب كقولك ذهب زيد·

ترتيب الجملة الفعلية

اولاً

في ترتيب الفعل ومتعلقاته

لا بدَّ في الجملة الفعلية من ذكر الفعل قبل الفاعل مطلقاً واما ما سواه من بقية المتعلقات فالاصل فيها ان تتأخر عن الفعل الاَّ انها بحسب الصناعة اللفظية لا يتعين بينها وبين الفعل ترتيب مخصوص فلك ان تقدم ما شئت منها على الفعل او تؤخره على ما تراه مناسباً بشرط ان تحافظ على منع الالتباس وتجنب التعقيد. اما الالتباس فلا يسوغ بوجه من الوجوه لمخالفته الغاية من وضع اللغة واما التعقيد والمراد به كل ما اوجب توقفاً في فهم المعنى المراد او اوجب للذهن تعباً يمكن تجنبُّه قلَّ او كثُرَ فلا تؤذن به البلاغة والطبع ايضاً يقضي بتجنبه ما امكن

وهذان الشرطان اعني منع الالتباس وتجنب التعقيد (او توخّي سهولة الفهم) لا يمكن حصرهما في ضوابط معينة انما يُرجع في ذلك الى مقامات الكلام والى نظر الكاتب وخصوصيةٍ في فطرته من جهة والى معرفة القواعد والتراكيب النحوية المتعارفة والمتَّفق عليها من جهة اخرى. وارى انَّ الاطالة فيما يوجبها او ينفيها ضرب من التكلف لا حاجة بنا اليهِ وخير من ذلك ان نذكر بعض الملاحظات في شأن ترتيب الفعل ومتعلقاتهِ لا تخلو من فائدةٍ وهي.

الذهن لداع من الدواعي الى تعيين الزمان كقولك مثلاً «يوم الاربعاء الواقع في ١٠ تموز الساعة ٨ ب.ظ تحتفل المدرسة الكلية السورية الانجيلية احتفالها السنوي الخ» وسببه انه مع ذكر الفعل الذي يدعو مقتضى الحال الى تعيين زمانه كثيراً ما يتبادر الى الذهن تعيين ذلك الزمان فلن اصاب في التعيين وهو القليل النادر اقتضى ذلك احضار الزمان في الذهن مرتين مرة قبل ذكر الزمان في الجملة ومرة بعده وهذا اسراف. وان اخطأ كان في ذلك مشقة على العقل في اصلاح خطإه والرجوع الى الصواب وهو من الاسراف ايضاً بخلاف ما اذا ذكر الزمان اولاً فانه لا يكون من العقل على الغالب الا انه يتهيأ لانتظار الفعل حتى اذا ذكر ادركه من غير تكلف لاحضاره اكثر من مرةٍ او لاصلاح ما اورثه التسرُّع

(٢) قدّم المستفهم عنه مطلقاً كقولك «ماذا فعلت» و«متى اتيت» وهو معلوم

(٣) قدِّم ما اردت تعيينه او قصرهُ او تخصيصه اذا كان مقتضى الحال يدعو الى الاختصار او يؤذن به فان مجرَّد التقديم دليل على ما اردت عند البلغاء من غير استعانةٍ بلفظ موضوع له (كالفظة لا غير او العطف بلا الخ) ومثال ذلك قولك «ماءً شربت» تعني «شربت ماءً لا خمراً» وقول القائل

بكم قريش كفينا كل معضلة ... وأمَّ هدي من كان ضليلاً

اي بكم لا بغيركم او دون من سواكم كما لا يخفى. حكي ان بعضهم شتم صاحبه ثمَّ قبيحاً فاعرض المشتوم عن جوابه فقال الشاتم اياك اعني فاجاب المشتوم

(٤) أخّر ذكر العلة او سبب الفعل عن الفعل لان العقل لا يسأل عن سبب الفعل الا بعد وقوعه ولذلك كان ذكر سبب الفعل قبله مما يتأذى منه العقل لما فيه من المخالفة لمقتضى الترتيب الطبيعي الا لغرضٍ كارادة القصر او التعيين على ما مرّ وكأن يكون السبب واقعاً معلوماً من قبل والفعل (او معناه) المسبب عنه اشبه بالنتيجة له فيتقدم حينئذٍ ذكر السبب وعليه ورد في سفر التكوين «لانك سمعت لقول امراتك واكلت من الشجرة التي اوصيتك قائلاً لا تاكل منها ملعونة الارض بسببك بالتعب تاكل منها كل ايام حياتك» وكقول رئيس المحكمة مثلاً «بناء على ثبوت الدعوى المقدمة من فلان على فلان بشهادة الشهود العدول نحكم على فلان بكذا الخ»

ومما يقرب من هذا قول بعضهم

لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي اليّ ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لا محا لة حيث صار القوم صائر

فانه قدم على الفعل (ايقنت) ما اوجبه من الاسباب الواقعة المعلومة لترتب اليقين عليها بما يشبه ترتب النتيجة على المقدمات

وقريب من هذا الباب ما اذا كان الفعل واقعاً معلوماً عند المخاطب والعقل متوجهاً للسؤال عن سبب الفعل فانه في مثل هذه الحالة تقتضي

حكى عن بروتس احد عظماء الرومان وصديق قيصر الكبير انه بعد ان قتل قيصر قام فيهم خطيباً واليك مفاد بعض ما قالهُ ولا فرق هنا بالنسبة الى غرضنا بين ان تكون نسبة هذه العبارات اليه حقاً او ادعاء قال «لان قيصر كان صديقي فانا ابكي عليه واندبهُ ولانه كان ذا حظوةٍ موفقاً فانا اهش لهذا واستعذبه ولانه كان بطلاً شجاعاً فانا اجله واحترمه لكن لانه كان يتشوّف للملك واذلال الرومانيين قمت عليه وقتلتهُ» فانظر كيف قدم ذكر السبب في هذه الجمل الاربع اما في الثلاث الاول فلانّ السبب واقع معلوم من قبل واما في الرابعة فلانّ الفعل واقع معلوم دون السبب مع انصراف الخواطر الى معرفته وتوجه غاية المتكلم الى ان يتنصل من تبعة الفعل بذكر السبب الذي يقوم بهِ عذرهُ لدى السامعين

(٥) قدّم ما اردت على الفعل محافظةً على الفاصلة في الكلام المسجوع ومحافظة على الوزن او القافية في الكلام المنظوم (على شرط عدم الالتباس وعدم التعقيد) كالآية «خذوه فغلّوه ثمّ الجحيمَ صلّوه ثمّ في سلسلةٍ ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه» وكقوله

ما بذلت ما بي بجودُ يدٌ ولا تهدّى لما يقول فم

وكقوله ايضاً

وما كل بمعذور بجهل ولا كلٌّ على بخل بلام

وكقوله ايضاً

وجدنوهم نياماً في دمائكم كأنّ قتلاكم ايام فجعوا

وكقول الآخر

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ فكلُّ قرين بالمقارن يقتدي

وهذا كثير شائع

مقدم في المعطوف عليه واخر هنا ما هو مؤخر هناك كقولك « انه كان لا يؤمن يوم الحشر العظيم ولا يحض على طعام البائس المسكين » فاذا قلت مثلاً انهُ كان يوم الحشر العظيم لا يؤمن فقل وعلى طعام البائس المسكين لا يحض وقد تكون المطابقة بين طرفي كلام واحدٍ كقول الخوارزمي « ولكن الكبير من الكبير يصغرُ كما ان الصغير من الصغير يكبر » فاذا قلت ولكنَّ الكبيرَ يصغر من الكبير فقل كما ان الصغير يكبر من الصغير · واعلم ان متعلقات معنى الفعل كالصفة والمصدر يجري عليها مع الصفة والمصدر ما يجري على متعلقات الفعل معه مما مرَّ بك والليب اذا احسن اعتبارهُ فيما ذكرناهُ كفاهُ ذلك عن مزيد التطويل وكثرة الامثلة

ثانياً

في ترتيب متعلقات الفعل فيما بينها

ليس بين متعلقات الفعل ترتيب مخصوص يقتضي متابعته فلك ان تقدم ما شئت او تؤخر ما شئت المفعول به على الفاعل نحو اذا زان جسمك عقلك فانت الرابح وبالعكس نحو اذا زان عقلك جسمك الخ · والمجرور على الفاعل او المفعول به وبالعكس نحو :

اني وان قصرت عن همتي جدتي وكان مالي لا يقوى على خلقي
لتارك كل امر كان يلزمني عاراً و يشرعني في المنهل الرنق

وكقول الآخر

والظرف على احد هذه و بالعكس على ما تراه مناسباً نحو

وكلُّ شديدةٍ نزلت بقوم سيأتي بعد شدَّتها رخاء

وكقول الآخر

ومتى نخف يوماً فساد عشيرة نصلح وان نرَ صالحاً لا نفسد

الاَّ انَّ المناسبة ينظر معها الى الاغراض الآتية وهي

(١) مراعاة المطابقة او المقابلة بين الجمل المتعاطفة او بين طرفي كلام واحدٍ وهو كثير في كتابات المترسلين نحو « واستقرَّت امور سجستان على خلف بن احمد فطالت عليها ايامهُ وطارت فيها اوامرهُ واحكامهُ وانبسطت بالعزِّ يدهُ و باعهُ وتموَّجت بذخائر الاموال رباعهُ وقلاعهُ » وكقولك « عاشروا في صغركم من تحترمون وفي كهولتكم من تحبون » ونحو « لو خاف ابن آدم ربهُ في الباطن كما يخاف خلقهُ في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً » وكقولهم « اذا جلست صغيراً حيث تحب جلست كبيراً حيث لا تحب » فاذا قلت مثلاً فطالت ايامه عليها فقل وطارت اوامره واحكامه فيها وكذلك اذا قلت لو خاف ابن آدم في الباطن ربه فقل كما يخاف في الظاهر عبده وهكذا

(٢) المحافظة على الفاصلة او على القافية او على الوزن والقافية وهو كثير شائع

(٣) المحافظة على حسن الرصف ونريد بحسن الرصف مراعاة الموافقات الموسيقية بين الالفاظ بحيث تجيء مؤتلفة منسجمة لاقلقلة

بلفظهِ · واعلم انه قد يتفق حسن الرصف مع المحافظة على الفاصلة في الكلام المسجوع تارةً كالاية نحو «خذوهُ فغلوهُ ثمَّ الجحيم صلوهُ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه» ومع المطابقة او المقابلة اخرى نحو «عاشر من الناس الصالحين وتجنب منهم المداهنين» ونحو اذا جلست صغيراً حيث تحب جلست كبيراً حيث لا تحب وقد يكون احياناً امراً اخر دونها «نحو على حسب نياتكم ترزقون» او زائداً عليها نحو «الحمد لله الذي جعل لنا نبأ المتقدمين عبرةً وذكرى ودلنا بزوالهم على انه الباقي الذي سيعيدهم تارةً اخرى» (مقدمة تاريخ اشور وبابل) فان وضع لفظة (لنا) بعد (جعل) لا بعد (عبرة) مع انها من صلتها وتاخير (بزوالهم) عن الفعل (دلنا) جميع ذلك امر زائد على المحافظة على الفاصلة الا انه داخل تحت حسن الرصف كما لا يخفى على المتامل · وحسن الرصف هذا يمكن اعتباره في تقديم معمولات الفعل عليه او تاخيرها عنه فقدم او أخر على مقتضاهُ بشرط ان لا يكون هنالك داع اخر اهم منه يدعو الى التقديم او التأخير

فاذا راعيت هذه الاغراض فقدم ما شئت واخر ما شئت على شرط ان لا يقع التباس في الجملة ولا تعقيد · اما الالتباس فلا يسوغ بوجه من الوجوه ولذلك لا يصح في جملة (لو اشتريت لك بدراهم لحماً تاكلينه) تاخير المجرور الاول وتقديم الثاني عليه ولا في جملة (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى) ان تؤخر المجرور اصلاً لان التأخير يؤدي في الحالين الى الالتباس

واما التعقيد فان بلغ الى حدٍّ يقضي بالتروي واطالة الفكرة قبل فهم

قبيل انت انت وانت منهم وجدك بشرٌ الملك الهمامُ

وما على شاكلته فممنوع ايضاً والبلغاء لا يعدونه من قبيل الكلام العربي بل هو عندهم اشبه بالفارسية والرومية منه بالعربية · وان بلغ كما دون ذلك فمكروهٌ عندهم لا يرتكب الا لضرورةٍ من اقامة وزن او محافظة على قافية او لرغبة احياناً في الايجاز · وان كان على اقلّ درجاته كقوله «كسا حلمه ذا الحلم اثواب سودد» فمتسامح فيه اذا صحبه غرض من الاغراض المارة والا فلا · ونعود هنا فنقول ان موجب التعقيد اللفظي في الغالب انما هو مخالفة التراكيب النحوية المشهورة والعدول الى المذاهب الضعيفة او الشاذّة فاعلم ذلك

ثالثاً

في ترتيب توابع متعلقات الفعل

قد عرفت ما هو المراد بمتعلقات الفعل بقي ان تعرف ما المراد من توابعها وما هو الترتيب بينها · اما توابعها فيراد بها الاستثناء والحال والتمييز والنعت والتوكيد والبدل والعطف عطف البيان وعطف النسق · واما الترتيب الغالب بينها فان يتقدم النعت على جميع ما سواه ثم التوكيد ثم يتقدم البدل او عطف البيان على ما بقي والحال والتمييز على المعطوف وهذا على المستثنى الا انه اذا كان هنالك عدّة نعوت لمتعلق واحد فقدم اهمها واذا استوت في الاهمية فقدم اخصرها او اقلها الفاظاً على ان المرجع المعول

مراعاة حسن الرصف فقدم واخرّ وفقاً لمقتضاه

ولنضرب لك مثلاً هذه الجملة «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله» فانها اشتملت على ثلاثة نعوت فقدم اهمها واخصرها وهو (مؤمن) وتاخر النعت الجملة (يكتم ايمانه) منعاً للالتباس ومراعاة لحسن الرصف معاً ولزيادة الايضاح نذكر لك صور التراكيب الممكنة فيها

(١) وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون الخ

(٢) وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون

(٣) وقال رجل من آل فرعون مؤمن يكتم ايمانه

(٤) وقال رجل من آل فرعون يكتم ايمانه مؤمن

(٥) وقال رجل يكتم ايمانه من آل فرعون مؤمن

(٦) وقال رجل يكتم ايمانه مؤمن من آل فرعون

فمن هذه الصور الست الثانية والخامسة ممنوعتان لوقوع الالتباس فيهما والثالثة والرابعة والسادسة جائزات بحسب اللغة الاّ انّ البلاغة تنكرهن لتقدم غير الاهم فيهنّ على الاهم ولمخالفتهنّ حسن الرصف بخلاف الجملة الاولى فانها جامعة لجميع شروط البلاغة فتوخّ فيما تكتب سائر الاعتبارات المعتبرة فيها ان قدرت

واما المعطوفات فيستحسن بالمقيد منها بنعت او بمتعلق آخر من تمام معناه ان يتأخر عن المطلق او ما هو اقل تقيداً منه كقول الشاعر

وكقولك «تدخل الآفات على ارباب القلوب والاخذين من اليقين واليقظة والحال بسهم» فانه يمكنك ان تقول تدخل الافات على الاخذين من اليقين واليقظة والخال بسهم وارباب القلوب الاّ ان الترتيب الاول اوقع في النفس واقرب للفهم لاسيما اذا لم يعدّ حرف الجرّ مع المعطوف كما لا يخفى على ان هذا الاستحسان غير ملتزم به ويمكن للكاتب الخروج عنه لاعتبارات معنوية لا تخفى على حسن ذوقه كتقديم الاهم على غيره والسابق على اللاحق ولمراعاة الترتيب المقرّر في الذهن اما بحسب مطابقته للواقع او منظوراً معه للترقي من الادنى الى الاعلى او من الاقل الى الاكثر او لاعتبارات لفظية كمراعاة حسن الرصف في النثر والمحافظة على الوزن والقافية في الشعر وهو مما لا يخفى. على انه اذا تعارض اعتباران احدهما معنوي والآخر لفظي فالمرجح مراعاة المعنوي منهما في اكثر الاحيان والحكم المتبع في مثل هذه الحال انما هو حسن الذوق فعليك به. واعلم ان مراعاة هذه الاعتبارات المعنوية واللفظية لا تختص بمتعلقات الفعل ولا بتوابع متعلقاته انما هي عامة فيها وفي غيرها من متعلقات الجملة الاسمية وتوابع متعلقاتها فقس على ما مرّ بك اشباهه ونظائره فانها لا تخفى على المتدبر

مطلوب

انتقد الامثلة الآتية وبين الجائز من التراتيب غير الترتيب المذكور

(١) وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم بعشرة الآف درهم فابى عليه ان يقبلها فالح عليهِ الرجل فقال له ابراهيم أتريد ان امحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة الآف درهم لا افعل ذلك ابدًا

(٢) واستقرت امور سجستان على خلف بن احمد فطالت عليها ايامه وطارت فيها اوامرهُ واحكامه وانبسطت بالعزّ يدهُ وباعهُ وتموجت بذخائر الاموال رباعهُ وقلاعهُ وانقطعت عن بخارى مواد خدمته وانضاف الى ذلك استهانتهُ بالاوامر الصادرة اليه في حثه على رشده ودعائه الى ما يجمع صلاح يومهِ وغده

(٣) لما بويع الصديق رضي الله عنه بالخلافة اصبح اخذ الاثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف ذلك وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضيعهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا لهُ قوت اهل بيتٍ من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين اولى

(٤) يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصدهِ . وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عندهُ كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عندهُ كالادخار او لدفع ضارٍّ لم ينزل به كدفع الصائل والسباع اولازالة ضارٍّ قد نزل به كالتداوي من المرض

﴿ في حذف بعض متعلقات الفعل ﴾

﴿ حذف الفاعل ﴾

اعلم ان النحاة يجيزون حذف سائر متعلقات الفعل ما عدا الفاعل فاذا لم يكن اسماً ظاهرًا كان عندهم ضميرًا بارزًا او مستترًا . والذي يؤخذ من تمثيل البيانين نحو «واستوت على الجودي حتى توارت بالحجاب» انهم يحذفونه ايضاً وهو الحق لكن لا بد عند الحذف من دليل عليه وعلى المحذوف وغرض يتعلقُ بالحذف شان سائر المحذوفات . ولنذكر لك الان دليل الحذف اللفظي فمن ذلك

(١) علامة التانيث كقوله

اما وثيٌّ لا يغني التراث عن الفتى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

اي النفس فان التاء تدل على ان الفاعل مؤنث واختصاص الحشرجة بعين ما هو ومثله قول الآخر

زارت عليها للظلام رواق ومن النجوم قلائد ونطاق

اي الحبيبة فان تاء التانيث وكون المقام مقام نسيب احدها يدل على المحذوف والاخر يعين ما هو فان قلت لِمَ لا تجعل الضمير المستتر فاعلا قلت جعله فاعلاً انما هو من اقامة دليل الشيء مقامه وهذا لا يمنع من كون الفاعل وهو ما يرجع اليه هذا الضمير على مقتضى حكمه محذوفاً كما لا تخفى

بانت سعادفقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعادُ غداة البين اذ رحلوا الاّ اغن غضيض الطرف مكحول

فان فاعل رحلوا محذوف تقديره «اهلها» او عشيرتها» دل عليه الضمير البارز وعينته قرينة الحال

(٣) بناء الفعل للمجهول وهو دلالة وضعية على حذف الفاعل والمهم في هذا الموقف ان ننظر الى اغراض الحذف ثم نردف ذلك ببيان ما بين المجهول والمطاوع من الفرق في الاعتبار والله الموفق الى الصواب

اغراض الحذف

(١) عدم العلم بالفاعل الحقيقي كما في نحو قولك وافتُتحت الاستانة سنة ١٤٥٣ هذا اذا كنت لا تعرف اسم السلطان الفاتح وكقولك سُرق بيتُ زيد

(٢) ارادة الاختصار · ولا يجوز لك ذلك الا اذا كان الفاعل مشهوراً نحو «خلق الانسان ضعيفاً» او متعيناً نحو «واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها» او اذا كان متوجه كلامك والمقصود منه لا يهم فيه معرفة الفاعل كقوله

ان كوتبوا او لفوا او حوربوا وجدوا في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

وكقولك مثلاً في عرض الكلام عن مدينة بابل «ولم يات عليها القرن الخامس الاّ كانت قد هدمت اسوارها ودرست معالمها وعفيت

(٣) محافظة على وزنٍ او قافية او مراعاة لفاصلةٍ فضلاً عن ارادة الاختصار ولا بد هنا ايضاً من كون الفاعل مشهوراً او متعيناً على ما مرّ بك مثال ذلك قوله

خلقوا وما خلقوا لمكرمة فكأنهم خلقوا وما خلقوا
رزقوا وما رزقوا سماح يد فكأنهم رزقوا وما رزقوا

وكقول الآخر

ما المال والاهلون الاّ معارة ولا بد يوماً ان تردّ الودائع

وكقولهم من طاب سريرته · حمدت سيرته

فان المحافظة على الوزن والقافية والفاصلة واضحة في الامثلة كما لا يخفى

(٤) اتباعاً للاستعمال كقولهم توفي فلان وجُنَّ وخولط في عقله ورُنِخ عليه واغشي عليه وَاُمتُقِعَ لونه واُبتُقِعَ واُنتُقِع واُستُفقِعَ واُستُهتِر الرجل بكذا وامثال هذه المحفوظات · وقد يحذف الفاعل لاغراضٍ اخرى كخوفك من الفاعل او محافظة على شرف المفعول به اذا كان في ذكر الفاعل ما يغضُّ من كرامته مما لا تخفى على المتفطن لها · وجميع هذه الاغراض قد ذكرها النحاة في مطوّلاتهم فاحتفظ بها حيثما وجدتها

الفرق بين المجهول والمطاوع

واما الفرق بين المجهول والمطاوع كقولك مُحي الشيء ومحّى ودُرس الرسم واندرس وكُسر الزجاج وانكسر فهو ان المجهول يعتبر فيه التفات

فيعتبر فيه حصول الاثر في المفعول (اي الفاعل اللفظي) من غير التفات الى الفاعل السببي ولزيادة الايضاح تقول لك ان الفاعل قد يكون مباشراً وقد يكون سبباً ونريد بالفاعل المباشر ما كان كزيد في قولك ضرب زيد عمراً وكسر الزجاج واكل وشرب ونظر وسمع الخ وزيد بالفاعل السببي ما كان سبباً لحصول الفعل كالهواء والماء والصاعقة او غير هذه من الفواعل الطبيعية والكيماوية التي لا يظهر لفعلها اثر ظاهر محسوس الا مع تراخي المدة . والغالب في الفاعل السببي ان يقطع عنه النظر فيسند مفعوله الى المطاوع بصورة الفعل والفاعل كقولك امحى الرسم واندرس وتعفى وهلم جرًّا . واذ علمت هذا قلنا ان المجهول ابداً يلتفت معه الذهن الى الفاعل المباشر فيلحظ وجوده انما يحذف لغرض من الاغراض التي مرَّت بك واما المطاوع فينظر معه الى حصول الاثر في المفعول مع صرف النظر عن الفاعل السببي . وعليه فاذا قلنا مثلاً « اما البابليون فمحيت اثارهم ودرست معالمهم » كان الفاعل المباشر ملحوظاً عند العقل وانما حذف لغرض كارادة الاختصار او عدم معرفة الفاعل على التعيين فاذا قلنا اما البابليون فامحت اثارهم واندرست معالمهم كان النظر مصروفاً الى حصول الاثر من الامحاء والاندراس فقط واذا استشرف العقل الى معرفة الفاعل قدَّره من قبيل السببي بحسب دلالة القرائن عليه . وانت اذا تتبعت افعال اللغة وجدت ان الذي يسند منها الى الفاعل المباشر فقط كالضرب والقتل والاكل والشرب والاخذ والاعطاء والنظر والسمع والشم والذوق واللمس والكتابة

والكسر والمحو والدروس فانَّ مطاوعاتها مشهورة متعارفة . وبعبارةٍ اخرى نقول انَّ الفعل الذي لا يسند الاَّ الى الفاعل المباشر مع عدم امكان اعتبار المباشر سبباً لحصول الفعل لا ترى له مطاوعاً اصلاً في المنقول الينا من الافعال واذا تكلفت له مطاوعاً رأيت الذوق ينبو عن استعماله بخلاف ما يسند الى المباشر تارة ويسند الى السببي او يمكن اسناده اليه اخرى فانك اما ان ترى له مطاوعاً في المنقول الينا عن اهل اللغة او ترى ان الذوق لا ينبو عن استعمال المطاوع له اذا دعت الحاجة الى استعماله على ان الفعل الذي يسند الى المباشر تارة والى السببي اخرى انما ترى له مطاوعاً باعتبار اسناده الى السببي ويتعاصى عليك المطاوع باعتبار اسناده الى المباشر مثاله ضرب زيدٌ عمراً فانه يتعاصى عليك المطاوع لهذا الفعل بهذا الاعتبار (اعني اسناده الى الفاعل المباشر) بخلاف ما اذا قلت « ضربتْ الريح الستر والامواج السفينة » فان مطاوعه بهذا الاعتبار مشهور متعارف لانك تقول اضطرب الستر واضطربت السفينة واليك مثالاً اخر « داس الزرع يدوسه ودرسه يدرسه » فانه لا مطاوع لهذين الفعلين بهذين الاعتبارين كما لا يخفى ثم لما كان الفعل (داس) لا يسند الى السببي اصلاً لم يكن له مطاوع اصلاً ولما كان درَس يسند اليه كقولك « درستْ الريح الرسم » كان له بهذا الاعتبار مطاوع وهو منقول متعارف فانه لا اشهر من القول باندراس الرسوم كما تعلمه بل قد يعتبر في فاعل درس المباشر معنى السببية ايضاً فلا يأبى الذوق حينئذ استعمال مطاوعه من هذه الحيثية

وخلاصة القول ان المجهول ينبغي ان يلتفت معه الى الفاعل المباشر باعتبار انه مقصود للمتكلم وانما عدل عن ذكره للغرض واما المطاوع فلا يلتفت معه الاّ الى حصول الاثر فقط وان كان قد يمكن فهم الفاعل السببي منه وتعيين نوعه احياناً لدلالة قرائن الاحوال عليه . فهذا هو الفرق بين المجهول والمطاوع فاعلمه . واعلم اننا قد اطلنا الكلام في هذا الصدد لما فيه من تنبيه الخاطر وحمل الذهن على التأمل والاعتبار في مدلولات الافعال والفرق بينها وهو من غايات علم المعاني على ما نظن والله اعلم

﴿ تنبيه ﴾

اعلم ان الفاعل السببي اذا تعورف استعماله مسنداً اليه فعل بخصوصه كدرست الريح الرسم وعفته اصبح كالفاعل المباشر في ان الذهن يلتفت اليه عند بناء فعله للمجهول ويقدّره على مثل ما يقدر الفاعل المباشر . وعندي ايضاً ان كل فعلٍ لمفعوله قابلية التأثر به وفقاً لطبيعته وخصوصيةٍ في فطرته او تركيبهِ يجوز فيه استعمال مطاوعه قياساً سواء نقل الينا المطاوع في كتب اللغة ام لم ينقل وسواء كان الفعل مستعملاً في الحقيقة ام على سبيل المجاز كمدَّ الحديد ومطله وطرقهُ وطرَّقهُ ورقَّقهُ وكرقَّيتُ زيداً ورفعته ورعنه وخوَّفته وكخفضت الشيء وحططته ودققتهُ ومحوته واخفيته وفضضته ورضضتهُ وفصلته وفصَّلته وفصَّيته وقدتُ الدابة وجررتها وهلَّ جرَّا

﴿ في حذف المفعول بهِ ﴾

اذا أُسند الفعل المتعدّي الى الفاعل فان كان الغرض اثباته لفاعله او نفيهُ عنه مطلقاً (اي من غير اعتبار عموم في الفعل بأن يراد جميع افراده او خصوص بأن يراد بعضها . ومن غير اعتبار تعلُّقه بمن وقع عليه فضلاً عن عمومه او خصوصه) نُزِّل الفعل المتعدي حينئذٍ منزلة اللازم ولم يقدَّر لهُ مفعول لان المقدَّر بواسطة دلالة القرينة كالمذكور نحو قوله « والله يعلم وانتم لا تعلمون » اي توجد لهُ حقيقة العلم ولا توجد لكم . وكقولك « جارُك نظيرك فان لهُ اذناً يسمع بها كما تسمع وعيناً يبصر بها كما انت تبصر ويداً يلمس بها كما تلمس الخ » وقد ينزَّل المتعدّي مطلقاً منزلة اللازم ثم يجعل كناية عن الفعل متعلقاً بمفعول مخصوص كقول البحتري

شجو حساده وغيظ عداه ان يرى مبصرٌ ويسمع واعٍ

اي ان يكون ذو رؤية وذو سمع وكنى بذلك عن انه اذا وجد البصر لمبصر والسمع لسامع ابصر محاسن هذا الممدوح وآثاره وسمع بذكر اخباره ومناقبه ادعاء بالملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية آثاره ومحاسنه وكذا بين مطلق السماع وسماع اخباره دلالة على ان آثاره واخباره بلغت من الكثرة والاشتهار الى حيث يمتنع خفاؤها فيبصرها كل راءٍ ويسمعها كل واعٍ

واما اذا اسند الى الفاعل باعتبار تعلقه بالمفعول فلا بد حينئذٍ من ذكر المفعول فاذا حذف لفظاً كان حكمه حكم المذكور لانه مقدر معنىً

ايضاً فاذا وجدت القرينة ولم يوجد الغرض لحذفه او وجد الغرض ولم توجد القرينة ففي كلتا الحالتين لا يصح الحذف . واما اغراض الحذف فنذكر لك منها ما هو اكثر شيوعاً واعم وقوعاً فمنها

(١) الايضاح بعد الابهام كما في فعل المشيئة والارادة ونحوهما اذا وقع شرطاً نحو «من شاء فليؤمن ومن شاء كفر» اي من شاء الايمان ومن شاء الكفر فانك لما قلت من شاء ابهمت المفعول الذي يتعلق به فعل المشيئة فتهيأت النفس لطلبه ما هو فلما ذكرت الجواب اوضحت ما كنت ابهمته قبلاً وادركته النفس بعد الطلب فسرها ذلك وفيه فضلاً عن ذلك ما فيه من الاختصار

واعلم ان مفعول فعل المشيئة هذا يقدَّر بحسب دلالة الجواب عليهِ مطلقاً مع المطلق ومقيداً مع المقيد . وبعبارة اخرى انك اذا اردتهُ مطلقاً تركت الجواب من غير تقييد كقولك « لو شئتُ لقلت ولو اردت لذهبت » اي لو شئت ان اقول لقلت ولو اردت ان اذهب لذهبت واذا اردتهُ مقيداً قيدت الجواب وفقاً لما تريدهُ كقولك « لو شاء الله لهدى زيداً الى الايمان » فان التقدير لو شاء الله ان يهدي زيداً الى الايمان لهداهُ اليهِ . واذا علمت هذا قلنا لاحاجة لما استثناه البيانيون في هذا الموقف (اعني الايضاح بعد الابهام) من ان مفعول فعل المشيئة يجب ذكرهُ معهُ اذا كان تعلقه (اي فعل المشيئة) بهِ (اي بالمفعول) غريباً كقول الخريمي يرثي ابنه

فان تعلق فعل المشيئة ببكاء الدم فعل غريب فلا بدَّ من ذكر المفعول ليتقرَّر في نفس السامع ويأنس بهِ واما قولهُ

ولم يبق مني الشوق غير تفكري فلو شئت ان ابكي بكيت تفكرا

فليس منه اي مما ترك فيه حذف مفعول المشيئة بناء على غرابة تعلقها بهِ (انتهى عن المطول شرح التخليص للعلامة التفتازاني طبع الاستانه وجه ١٩٣ و ١٩٤) لان البيت الاول ليس من قبيل الايضاح بعد الابهام فان المقام مقام تفجع لامجال فيه للابهام ولا تؤذن به الخاصيات انما هو من قبيل ايقاع الفعل صراحة على نفس مفعوله كما لا يخفى على المتامِّل ولو انهُ من قبيل الايضاح بعد الابهام فما المانع من ان يقول « ولو شئت لبكيت دماً عليهِ ولكن ساحة الصبر اوسع » أليس انهُ كان يُقدَّر المفعول « ولو شئت ان ابكي دماً الخ » وفقاً لدلالة الجواب وكذلك البيت الثاني فانهُ والبيت الاول من بابٍ واحدٍ في انهما ليسا للايضاح بعد الابهام بل لايقاع الفعل على نفس مفعولهِ صراحةً كما مرَّ . والفرق بينهما في ان المراد بالبيت الاوَّل ولو شئت ان ابكي دماً لبكيتهُ عليهِ على ارادة تقييد البكاء بمفعوله اعني لفظة (دماً) بخلاف البيت الثاني فان الشاعر لم يرد ان يقول ولو شئت ان ابكي تفكراً لبكيتهُ بجعل (تفكراً) قيداً لأبكي بل قصد الى ان يقول ولو شئت ان ابكي ما بكيت الاَّ التفكر لعدم بقاء غيرهِ من الدمع او الدم وهذا مما يدلُّ عليه صدر البيت فانه قال فيهِ ولم يبق مني الشوق غير تفكري ففهم منه نفاد دمعهِ ودمهِ ثمَّ ابرز التفكر بصورة المحسوس وادَّعى انه مما يبكى كالدمع او الدم

والحق انه لا يلزم من وقوع فعل المشيئة شرطًا ان يقصد معه دائمًا الايضاح بعد الابهام حتى يلزم حذف مفعوله فيقتضي الحال الى تكلف الاستثناء الذي استثناه العلامة التفتازاني في بيت الخريمي وفاقًا لما تكلفه صاحب التلخيص بل قد يقصد ذلك احيانًا نحو «فلو شاء لهداكم اجمعين» وقد لا يقصد على ما هو بيت الخريمي وبيت ابي الحسن علي بن احمد الجوهري المتقدم ذكرهما والله اعلم

(٢) ارادة الاختصار نحو «والله يمحو ما يشاء ويثبت» ونحو «ويغفر لمن يشاء» وكقولك «رعت الماشية» اي يمحو ما يشاء ويثبت ما ينشاء ويغفر الذنوب ورعت عشبًا

(٣) التعميم مع الاختصار نحو «انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به» اي ولا اشرك به احدًا او شيئًا من المعبودات على انواعها وقولهم فلانٌ لايبدي ولا يعيد

(٤) المحافظة على وزن او قافية كقوله

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا ... وموج المنايا حولها متلاطم

وكقول الآخر

أخًا لي اما كل شيء سألته ... فيعطي وأمّا كل ذنب فيغفر

وكقوله أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ... ضعيف يفاويني فصير يطاول

وكقول الآخر

وأقضي على نفسي اذا الامر نابني ... وفي الناس من يُقضى عليه ولا يقضي

(٥) للاختصار مع تخييل صورة وقوع الفعل كقوله

وكم ذدت عني من نحامل حادث ... وسورة أيام حززن الى العظم

فان السامع اذا سمع حززنَ الى العظم تخيل كأن هنالك سكينًا او ما شاكلها تمضي في اللحم الى العظم وقد عدّه بعضهم من قبيل دفع ابتدار الذهن الى غير المراد بناء على انه لو قال حززن اللحم توهم اولًا ان المقصود الاخبار بحزّ اللحم من غير نظر الى انتهائه الى العظم

(٦) طلبًا لا بقاء الذهن متنبهًا الى أن ياتي على آخر الجملة كقوله

ولقد طلبنا فلم نجد لك في السو ... دد والمجد والمكارم مثلا

فانه لو قال ولقد طلبنا لك مثلًا الخ لأمكن احتمال ان يقف الذهن عند ذكر المفعول به ويتلاهى او يغفل عما بعده وذكر الامام جلال الدين السيوطي ان الغرض من حذفه هنا ارادة ذكره ثانيًا على وجه يتضمن اتباع الفعل على صريح لفظه اظهارًا لكمال العناية بوقوعه عليه والله اعلم

(٧) لاستهجان ذكره كقول عائشة «والله ما رأى مني ولا رأيت منه» اي العورة. وقد يحذف لاغراض اخرى كارادة اخفائه او التمكن من انكاره ان مست الحاجة او ادعاء تعينه وقد تركنا التمثيل لها لانها اغراض اكثر ما تاتي في المخاطبات الشفاهية ويتنبه لها بكثرة المزاولة وهي في اكثر مواقعها لا تخفى على الفطن السريع الملاحظة وان خفيت على غيره كثيرًا واعلم ان الحذف لا يختص بالمفعول به بل يتناول غيره من متعلقات الفعل كالمجرور وخلافه فانها تحذف اذا وجد للحذف غرض من الاغراض

خاطر

﴿ في تأثير النفي في الجملة الفعلية ﴾

وقبل الشروع في موضوعنا هذا لانرى بدًّا من التنبيه الى الامور الاتية وهي

(اولاً) ان النفي لا يتوجه الاَّ الى الاسناد والاسناد يقتضي الحدث او الفعل لفظاً او معنى فاذا وجد الفعل لفظاً في الجملة فهو اولى بدخول حرف النفي عليه فاذا دخل على غيره من متعلقاته فلا بدَّ لذلك من غرض وهذا الغرض ان لم يكن نفي الفعل عن المتقدم واثباته لغيره من جنسه كان الاهتمام به وارادة ان النفي متوجه اليه من حيث انه قيد لمضمون الجملة مع قطع النظر عن ارادة اثبات الحكم لغيره من جنسه . ولنضرب لك مثالاً تستأنس به للمقصود نحو «ما في بيت خالد رأيت زيدًا اليوم» بتقديم الظرف على الفعل فان الغرض هنا ان لم يكن نفي رؤية زيد اليوم في بيت خالد واثبات انها كانت في بيت عمرو مثلاً كان لنفي الرؤية اليوم انها كانت في بيت خالد مع قطع النظر عن اثباتها في بيت آخر غير بيت خالد وهذا ما نريد بقولنا لغيره من جنسه

(ثانياً) القيد متأخرٌ عن المقيد به مطلقاً فاذا اجتمع في الجملة متعلقان من متعلقات الفعل رتبتهما واحدة كأن يكونا زمانين او مكانين

ان يكون المتأخر منهما قيدًا للمتقدم وبعبارة اخرى فالاولى ان تؤخر ما هو في اعتبارك قيد لصاحبه . وهذا يجب مراعاته في النفي اكثر مما في الايجاب ولا يجوز لك ترك دلالة هذه الخاصة الاَّ مع قيام قرينة اوضح من الشمس على خلافها

(ثالثاً) الفعل يدل وضعاً على الزمان فاذا عدت فقيدته بزمان مخصوص فلا بد من ان يكون مقصودك تقييد مضمون تلك الجملة به والاَّ كان ذكره عبثاً مثاله «ماجاء زيد الى بيت اخيه» فان الزمان المدلول عليه بالفعل جاء يستغرق الماضي باسره من غير ترجيح لاحد اجزائه على الآخر ولذلك اذا «قلت» ما جاء زيد الى بيت اخيه البارحة كان مرادك تقييد عدم مجيئه الى بيت اخيه بالبارحة لا بغيرها من الازمنة اي ان النفي متوجه الى مضمون الجملة باعتبار هذا القيد فقط وهو ظاهر وهكذا اذا قلت لا ترى زيدًا غدًا كان المراد تقييد عدم رويتك زيدًا بالغد او توجه النفي الى قيد الزمان دون المفعول به

واذا علمت ما قدمناه من هذه التنبيهات الثلاثة فلنتقدم الآن الى ما نريد الكلام فيه من تاثير النفي في الجملة الفعلية وبالله التوفيق

يراد بالجملة البسيطة المطلقة الموجبة كقام زيد اثبات المسند للمسند اليه فاذا تقدم النفي على هذه الجملة كان المراد نفي المسند عن المسند اليه كقولنا «ما قام زيد» على انك اذا قيدت هذه الجملة بقيد من القيود كان النفي موجهًا الى القيد الزائد فقط لا الى الاسناد ونعني بذلك انه لا يتحقق

ادخلت النفي عليها فقلت « ما رأيت زيداً » كان المراد نفي رؤية زيدٍ لا نفي الرؤية مطلقاً لتوجه النفي اليها باعتبار القيد الزائد · وكذلك اذا قلت « ما رايت زيداً صادقاً » كان المقصود نفي رؤية زيد من حيث تلبسه بالصدق لا نفي مطلق رؤيته فاذا قلت ماراأيت اليوم زيداً صادقاً توجه النفي الى قيد الزمان بمعنى انك ماراأيته صادقاً اليوم فلا يعارض قولك هذا قولك رايت زيداً صادقاً البارحة ولا ينافيه · ثم اذا قلت « ما رايت زيداً صادقاً فيما قالهُ عن عمرو » توجه النفي الى المجرور (عن عمروٍ) فلا ينافي قولك هذا قولك « رايت زيدا صادقاً فيما قاله عن بكرٍ او خالدٍ او عبد الله » ولا يعارض صدق النفي فيه ولا كذبه · فاذا قلت « ما رائت زيداً صادقاً فيما قاله الان عن عمروٍ » توجه النفي الى الزمان بمعنى انك نفيت رؤيتك زيداً صادقاً فيما قالهُ عن عمروٍ (الان) لا في غيره من الازمنة · وهلم جرًّا

ولنمثّل لك على صورةٍ اخرى فنقول · اذا قلت « ما جاء زيدٌ » توجه النفي الى الاسناد اي ان المجيء وهو المسند منفي عن زيد وهو المسند اليه · فاذا قلت « ما جاء زيدٌ اليوم » توجه النفي الى الزمان · ثم اذا قلت « ما جاء زيدٌ راكباً » توجه النفي الى الحال فاذا قلت « ما جاء زيدٌ راكباً اليوم » او « ما جاء اليوم زيدٌ راكباً » توجه النفي الى الزمان وكذلك اذا قلت ما جاء زيدٌ راكباً فرساً فالنفي موجه الى (فرساً) لا الى مجيئه ولا الى مجيئه راكباً فاذا قلت « ما جاء زيدٌ راكباً فرساً حمراء » توجه النفي الى

الاعتبار الذي مرَّ بك · وهكذا يمشى الحكم مع القيد بالسبب والمكان والعطف الا ان القيد بالزمان مهما ذكر في الجملة المنفية فالأولى ان يتوجه اليه النفي دون ما سواه من بقية القيود الا اذا قامت قرينةٌ على خلافهِ · ومن القرائن اللفظية تقدم القيد على الفعل راجع التنبيه الاول واما القرائن المعنوية والتي يقتضيها الحال فلا ضابط لها كما تعلم

ونزيد ايضاً انه اذا تقيد الفعل بجميع قيودهِ ما عدا الزمان توجه النفي الى السبب فاذا لم يذكر السبب فالى المكان فاذا لم يذكر المكان فالى المفعول به فالى المعطوف ما لم تدلَّ قرينة على خلاف ذلك فينصرف النفي الى ما تقتضيهِ تلك القرينة · وسببه على ما ارى ان الزمان المدلول عليهِ بنوع الفعل يتسع لوقوع الفعل المقيد بالمكان والسبب اكثر من مرة وهذا اطلاق فاذا ذكر قيد الزمان مع قيد المكان والسبب قيد الفعل معهما لمرَّة بعينها كما لا يخفى على من تامل فكان اذن قيداً زائداً على بقية القيود مقيّداً لها فتوجه اليه النفي دون غيره ولزيادة الايضاح نمثل بقولنا « ذهب زيدٌ الى دمشق لزيارة اخيه البارحة » فانه لا يخفى ان الزمان المدلول عليهِ بلفظ الفعل يتسع لتكرار هذا الذهاب الى دمشق لزيارة اخيه اكثر من مرة فلا يتعين ايُّ المرات يراد بهذه الجملة الاَّ اذا تقيدت بلفظ البارحة كما ترى · فاذن قيد الزمان قيدٌ للفعل مخصص له باعتبار اضافته الى مكانه وسببه معاً والنفي المتقدم على الفعل يتوجه الى القيد المخصص كما مرَّ فاذن يتجه الى الزمان عند الاطلاق · ثم اذا قلنا « ذهب زيد الى الشام لزيارة

لها فيتعين توجه النفي اليه ومثلهُ ايضاً في الوضوح اذا قلت « ضرب زيد عمراً في ساحة البلد » فان المكان قيدٌ مخصص يتوجه اليه النفي دون المفعول وكذلك المفعول قيد يتوجه اليه النفي دون الفاعل وهكذا

بقي لي ان اشير الى ما اذا اجتمع قيدان في الجملة من رتبة واحدة كقولك « ذهب زيدٌ من بيروت الى الشام » فان القيدين مكانيان يصح توجه النفي الى كل منهما ولا بد للتعيين من قرينة فاذا فقدت القرينة الخارجية فلا بد من نصب قرينة التقديم والتاخير فاخر ما اردت ان يكون قيداً لصاحبه فيعلم ان النفي موجه اليه (راجع التنبيه الثاني) وقس على هذا ما يشاكله كقولك « رايت زيداً راكباً متوجهاً الى جهة بيتهِ » فان راكباً قيدٌ ومتوجهاً الى جهة بيتهِ قيد اخر وهما من رتبةٍ واحدةٍ فان فقدت القرينة الخارجية فانصب تاخير احدهما قرينة لفظية دلالة على ان النفي متوجه اليه دون صاحبهِ والله اعلم

خاطر في الجملة الشرطية

كلام في الجملة الشرطية عموماً

يراد بالجملة الشرطية التعميم مطلقاً فضلاً عن الربط بين الفعل والجواب فاذا قيل « من يذهب اذهب معه » مثلاً كان المراد ان ذهب زيد او عمروٌ او بكرٌ او حامد الخ اذهب معه واذا قلت « متى تذهبْ اذهبْ » كان المراد ان تذهب اليوم او غداً صباحاً او مساءً اذهبْ وهكذا الحال مع ادوات المكان فانك اذا قلت اينما تذهبْ اذهبْ كان المراد ان تذهب الى الشام او الحجاز او العراق او الى اي مكانٍ اخر اذهب

بقي من ادوات الشرط ان واذا ولو ولولا الحرفيات . فاما (لولا) فلاخفاء في معناها واستعمالها لمن وقف على ما نصهُ النحاة فيها واما لو ففي معانيها بعض الاشكال والتعدد واحسن ما جاء فيها على ما اعلم ما ذكره العلامة ابن هشام في مغني اللبيب واليك اهم ما ذكره بلفظه

بحثٌ في (لو) واقسامها

(لو) على خمسة اوجه (احدها) لو المستعملة في نحو لو جاءني لاكرمته وهذه تفيد ثلاثة امور احدها الشرطية اعني عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها والثاني تقييد الشرطية بالزمن الماضي وبهذا الوجه وما

قالوا الشرط بإنْ سابق على الشرط بلو وذلك لان زمن المستقبل سابق على الزمن الماضي عكس ما يتوهم المبتدئون. الا ترى انك تقول ان جئتني غداً اكرمتك فاذا انقضى الغد ولم يجئ قلت لو جئتني امس اكرمتك. الثالث الامتناع وقد اختلف النحاة في افادتها له. وكيفية افادتها اياهُ على ثلاثة اقوال احدها انها لا تفيده بوجه وهو قول الشلوبين زعم انها لا تدل على امتناع الشرط ولا على امتناع الجواب بل على التعليق في الماضي — وتبعه على هذا القول ابن هشام الخضراوى وهذا الذي قالاهُ كانكار الضروريات اذ فهم الامتناع منها كالبديهي فان كل من سمع (لو فعل) فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد لهذا يصح في كل موضع استعملت فيه ان تعقبه بحرف الاستدراك داخلا على فعل الشرط منفياً لفظاً او معنى تقول لو جاءني اكرمتهُ ولكنهُ لم يجيء ومنه قوله

ولو ان ما اسعى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليل من المالِ
ولكنما اسعى لمجدٍ مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

وقولهُ

فلو كان حمدٌ يخلد الناس لم تمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد

ومنه قوله تعالى «ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأنَّ جهنم» اي ولكن لم اشأ ذلك لحق القول مني وقولهُ تعالى «ولو اراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم» اي فلم يريكموهم كذلك وقول الحماسي

ثم قال لكن قومي وان كانوا ذوي عددٍ ليسوا من الشرِّ في شيء وان هانا

اذ المعنى لكنني لست من مازن بل من قوم ليسوا في شيءٍ من الشر وان هان وان كانوا ذوي عددٍ (والثاني) انها تفيد امتناع الشرط وامتناع الجواب جميعاً وهذا هو القول الجاري على السنة المعربين ونص عليه جماعة من النحاة وهو باطل بمواضع كثيرة منها قوله تعالى «ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيءٍ قبلاً ما كانوا ليؤمنوا. ولو ان ما في الارض من شجرةٍ اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله» وقول عمر (رض) «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه» وبيانه ان كل شيءٍ امتنع ثبت نقيضه فاذا امتنع ماقام ثبت قام وبالعكس وعلى هذا فيلزم على هذا القول في الآية الاولى ثبوت ايمانهم مع عدم نزول الملائكة وتكليم الموتى لهم وحشر كل شيءٍ عليهم وفي الثانية نفاد الكلمات مع عدم كون كل ما في الارض من شجرة اقلاماً تكتب الكلمات — ويلزم في الاثر ثبوت المعصية مع ثبوت الخوف وكل ذلك عكس المراد (والثالث) انها تفيد امتناع الشرط خاصة ولا دلالة لها على امتناع الجواب ولا على ثبوته ولكنه ان كان مساوياً للشرط في العموم كما في قولك «لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً» لزم انتفاؤه لانه يلزم من انتفاء السبب المساوي انتفاء مسببه وان كان اعمَّ كما في قولك «لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجوداً» فلا يلزم انتفاؤه وانما يلزم انتفاء القدر المساوي منهُ للشرط وهذا قول المحققين وتلخص على هذا ان يقال ان (لو) تدل على

تارة يعقل بين الجزئين ارتباط مناسب وتارة لا يعقل فالنوع الاوّل على ثلاثة اقسام ما يوجب فيه الشرع او العقل انحصار مسببية الثاني في سببية الاوّل نحو «ولو شئنا لرفعناه بها» ونحو «لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودًا» وهذا يلزم فيه من امتناع الاوّل امتناع الثاني قطعًا وما يوجب احدهما فيه عدم الانحصار المذكور نحو لو نام لا تنقض وضوءه ونحو لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجودًا وهذا لا يلزم فيه من امتناع الاوّل امتناع الثاني كما قدمناه وما يجوز فيه العقل ذلك نحو لو جاءني اكرمته فان العقل يجوز انحصار سبب الاكرام في المجيء ويرجحه ان ذلك هو الظاهر من ترتيب الثاني على الاوّل وانه المتبادر الى الذهن واستصحاب الاصل وهذا النوع يدل فيه العقل على انتفاء المسبب المساوي لا انتفاء السبب لا على الانتفاء مطلقًا ويدل الاستعمال والعرف على الانتفاء المطلق (والنوع الثالث) قسمان احدهما ما يراد فيه تقرير الجواب وجد الشرط او فقد ولكنه مع فقده اولى وذلك كالاثر عن عمر فانه يدل على تقرير عدم العصيان على كل حال وعلى ان انتفاء المعصية مع ثبوت الخوف اولى وانما لم تدل على انتفاء الجواب لامرين احدهما ان دلالتها على ذلك انما هو من باب مفهوم المخالفة وفي هذا الاثر دل مفهوم الموافقة على عدم المعصية لانه اذا انتفت المعصية عند عدم الخوف فعند الخوف اولى واذا تعارض هذان المفهومان قدم مفهوم الموافقة الثاني انه لما فقدت المناسبة انتفت العلية فلم يجعل عدم الخوف علة عدم المعصية

والاعظام وذلك مستمر مع الخوف فيكون عدم المعصية عند عدم الخوف مستندًا الى ذلك السبب وحده وعند الخوف مستندًا اليه فقط او اليه والى الخوف معًا وكذا «لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذًا لامسكتم خشية الانفاق» فان الامساك عند عدم ذلك اولى (والثاني) ان يكون الجواب مقرّرًا على كل حال من غير تعرّض لأولوية نحو «فقالوا ليتنا نردُّ ولا نكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين · بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ﴿ ولو ردُّوا لعادوا ﴾ لما نهوا عنه وانهم لكاذبون» فهذا وامثاله يعرف ثبوته بعلة مستمرّة على التقديرين والمقصود في هذا القسم تحقيق ثبوت الثاني واما الامتناع في الاول فانه وان كان حاصلاً لكنه ليس المقصود

(الثاني) من اقسام (لو) أن تكون حرف شرط في المستقبل الاّ انها لا تجزم كقوله

ولو تلتقي أصداونا بعد موتنا ومن دون رمسينا من الارض سبسبُ
لظل صدى صوتي وان كنت رمة لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

وقول توبة

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت عليّ ودوني جندلٌ وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا اليها صدى من جانب القبر صائح

وقوله

لابلغك الراجوك الاّ مظهرًا خلق الكرام ولو تكون عديما

كنا صادقين · ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون · قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبث ونحو «اعطوا السائل ولو جاء على فرس» وقوله

قومٌ اذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت باطهار

وتحرير ذلك ان يعلم ان خاصية (لو) فرض ما ليس بواقع واقعاً ومن ثم انتفى شرطها في الماضي والحال لما ثبت من كون متعلقها غير واقع وخاصية (ان) تعليق امر بامرٍ مستقبل محتمل ولا دلالة لها على حكم شرطها في الماضي والحال · فعلى هذا قوله «ولو باتت باطهار» يتعين فيه معنى (ان) لانه خبر عن امرٍ مستقبل محتمل اما استقباله فلأن جوابه محذوف دلَّ عليه (شدُّوا) وشدُّوا مستقبل لانه جواب اذا · واما احتماله فظاهر ولا يمكن جعلها امتناعية للاستقبال والاحتمال ولان المقصود تحقق ثبوت الطهر لا امتناعه · واما قوله ولو تلتقي (البيت) وقوله ولو ان ليلى (البيت) فيحتمل ان (لو) فيها بمعنى ان على أن المراد مجرّد الاخبار بوجود ذلك عند وجود هذه الامور في المستقبل ويحتمل انها على بابها وان المقصود فرض هذه الامور واقعة والحكم عليها مع العلم بعدم وقوعها والحاصل ان الشرط متى كان مستقبلاً محتملاً وليس المقصود فرضه الان او فيما مضى فهي بمعنى (ان) ومتى كان ماضياً او حالاً او مستقبلاً ولكن قُصد فرضه الان او فيما مضى فهي الامتناعية (والثالث) ان تكون حرفاً مصدرياً بمنزلة أن الاَّ انها لا تنصب واكثر وقوع هذه بعد وَدَّ ويَوَدُّ نحو «ودُّوا لو تدهن · يودُّ احدهم لو يعمر» (والرابع) ان تكون

وقال بعضهم هي (لو) الشرطية أُشربت معنى التمني بدليل انهم جمعوا لها بين جوابين جواب منصوبٍ بعد الفاء وجواب باللام كقوله

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب اي زير
بيوم الشعثمين لقر عيناً وكيف لقاء من تحت القبور

وقال ابن مالك هي (لو) المصدرية أُغنت عن فعل التمني · وذلك انه أورد قول الزمخشري وقد تجيء (لو) في معنى التمني في نحو لو تأتيني فتحدثني فقال ان اراد أنَّ الاصل وددتُ لو تأتيني فتحدثني فحذف فعل التمني لدلالة (لو) عليه فأُشبهت ليت في الاشعار بمعنى التمني فكان لها جواب كجوابها فصحيح اوانها حرف وُضع للتمني كليت فممنوع لاستلزامه منع الجمع بينها وبين فعل التمني كما لا يجمع بينه وبين ليت اه (الخامس) ان تكون للعرض نحو لو تنزل عندنا فتصيب خيراً ذكره في التسهيل وذكر ابن هشام اللخميّ وغيره لها معنى آخر وهو التقليل نحو «تصدقوا ولو بظلف محرق» وقوله تعالى «كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم» وفيه نظر

هذا خلاصة ما ذكره هذا العلامة في كتابه مغني اللبيب طبع بمصر بالمطبعة المجاورة للقطب الدردبري سنة ١٣٠٢ وجه ٢٠٥ — ٢١٥ · بقي ان واذا ولها ابحاث خاصة بهما ستقف عليها بالتفصيل ان شاء الله

ان واذا

ويراد بهما تعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط في

مضمون الجزاء) معلق بحصول اكرامك لي (وهو مضمون الشرط) و (ان) دالة على هذا التعليق ومثله قولك امهلني ريثما افرغ من هذا المكتوب « فاذا فرغت منه كتبت لك ما تشاء » فان كتابتي لك ما تشاء (وهو مضمون الجزاء) معلق على فراغي من المكتوب (وهو مضمون الشرط) و (اذا) دالة على التعليق

واعلم انه يجوز لك ان تقيد الشرط والجزاء بما تشاء من قيود الزمان والمكان فاذا كانا مطلقين فيقيدان بقرينة العرف والحال فاذا لم تدل قرينة على تقيدهما بزمان ولا مكان صح فيهما اعتبار عموم الزّمان والمكان على الاطلاق كقولك « اذا رعيت عهد الاخوان رعوا عهدك . وان نكثت نكثوا » فانه واضح من المثالين انه لا يقصد تقيد الشرط ولا الجزاء بزمانٍ ولا مكان بل المراد عموم الامكنة والازمنة معاً كما لا يخفى

ثم ان الجزاء لا يكون مضمونه الا مستقبلاً لانه مترتب على الشرط لا يحصل الاّ بعد حصوله واما الشرط فلا بد فيه من اعتبار الاستقبال ايضاً فان كان ظاهره المضيّ لفظاً ومعنى فلا بد من ان يكون مبناه على فعل مقدّر له علاقةٌ به (اي بالشرط) يصح فيه (اي في هذا المقدر) ارادة الاستقبال واعتباره كقولك مثلاً لمن اخبرك بما يسرّك « ان كان خبرك صحيحاً فلك عليّ حكمك » فان ظاهر الشرط هنا ماض لفظاً ومعنى على انه مبني على مقدّر يصح فيه ارادة الاستقبال اي ان يثبت كون خبرك صحيحاً وعليهِ قول المتنبي

اي ان يثبت انهُ سركم الخ ومثله قول الآخر

ان كانت العشاق من اشواقهم جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فانا الذي انلو فم بالبنفي كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

اي ان يثبت ان العشاق الخ وهو ظاهر وكذلك قولك لمن يعتدُّ عليك بصنيعة في الماضي ان « اكرمتني امساً فطالما اكرمتك من قبل » اي ان تعتدّ عليّ باكرامك امساً فاعتد عليك بما اكرمتك به من قبلُ وعليهِ ورد قول بعضهم وهو من الابيات التي يستشهد بها

اتغضب ان اذنا قتيبة حرّنا جهاراً ولم تغضب لقتل ابن خازم

اي اتغضب ان افتخر عليك مفتخرٌ او اعتدّ عليك بحزّ اذني قتيبة واما قول المتنبي

وان طبعت قبلك المرهفات فانك من قبلها المنصل
وان جاد قبلك قوم مضوا فانك في الكرم الاوّل

فان طبع المرهفات قبل الممدوح وجود من جادوا امر ماضٍ لفظاً ومعنى الاّ انّ الشرط مبني على فرض القول كما يظهر للتأمل أي وان يقل قائل ان المرهفات طبعت قبلك فلها فضل التقدم عليك قلنا ليس الفضل بتقدم الطبع بل بالغرض المقصود من الطبع وهو المضاء وانت قد سبقتها فيه وكذلك تاويل البيت الثاني اي وان يقل هذا القائل جاد قبلك قوم مضوا فلهم الفضل عليك قلنا ليس فضلك لمجرد وقوع الجود منك حتى يصح القول بالفضل للمتقدم بل لبلوغك فيه غاية لم يبلغها احد من قبلك وكل

وقد يكون المقدَّر غير ما ذكرنا كقولك لمن تعلم من طبعه الجبانة «يا ابني ان كنت هيوباً تصيرُ الى الخيبة في امورك» فالتقدير المراد من الجملة انه ان يستمرَّ بك التهيب وبعبارة اخرى كانك قلت له يا ابني انا اعلم انه من طبعك الجبانة واولى بك تركها لانك ان تبقَ وتستمرَّ عليها تصر الى الخيبة في مستقبل امرك اوعند ملابسة اشغالك وهكذا في كل جملة ظاهر شرطها ماضٍ لفظاً ومعنى فانه يمكنك ردها او رد محصلها الى الاستقبال والتحول في اسلوب الرد لا يخفى على الفطن ولا يخفى عليهِ ايضاً تقدير المحذوف فانه يكون في كل جملة تابعاً لمناسبات القرائن والاحوال وما قدَّمناهُ مصداق لقول النحاة من ان الشرط والجزاء ينبغي فيهما ارادة الاستقبال والله اعلم

بقي علينا ان ننظر في امورٍ ثلاثةٍ وهي (اولاً) نوع التعليق المدلول عليه بان واذا (ثانياً) ما المراد بهما والفرق بينهما في الاستعمال (ثالثاً) متى تستعمل كلٌ منهما . وهي مباحث فيها من الصعوبة ما ليس في غيرها من مباحث المعاني كما لا يخفى على من وجه اليها نظره من المشتغلين في هذا الفن وتدريسه ولذلك لم نبدِ فيها رأياً ولا كتبنا سواداً على بياض الا بعد أن استقرينا جميع مواقع ان واذا في القرآن العزيز وعززنا ذلك بمراجعة مواقعهما في اكثر ديوان المتنبي وابي العلاء والحماسة وغير هذه من المؤلفات المعتبرة المشهود لاربابها بالفصاحة والبلاغة ودقة التعبير كالكامل للمبرَّد والاحياء للامام الغزالي والسيرة النبوية وديوان الفارض ورسائل

والسيد الشريف علي السكاكي وعلى كثيرٍ مما ذكره العلامة الزمخشري في كشافه والله المسأول ان يلهمنا الى الصواب

البحث الاول

في نوع التعليق المدلول عليه بان واذا

لا يصعب على المتأمل بعد اذ يتوجه خاطره الى موضوع البحث ان يرى فرقاً في التعليق (اي ترتب الجزاء على الشرط) ما بين قولنا «واذا طلعت الشمس زارنا زيدٌ» وما بين قولنا «واذا طلعت الشمس وُجدَ النهار» فان الجزاء في المثال الاول وان كان مترتباً على الشرط فليس بلازم له عقلاً ولا مسلماً بملازمته انما هو مشكوكٌ بوقوعه والمتحقق فيه هو ان زيارة زيدٍ لا تكون الا بعد طلوع الشمس واما حصول الزيارة نفسها فمن المشكوك به الممكن وقوعه وعدمه بخلاف الجزاء في المثال الثاني فانه ملازم لوقوع الشرط لا ينفك عنه اصلاً . وكذلك يظهر لك الفرق بين قولنا «اذا اكرمت زيداً ملكته» وبين القول المتعارف «اذا اكرمت الكريم ملكته» فان الجزاء في المثال الاول غير متحققة ملازمتهُ للشرط بل يجوّز العقل ان يقع مع وقوع الشرط ويجوز ان لا يقع ايضاً والمراد من التعليق فيه الدلالة على ان الجزاء اذا وقع فانما يقع بعد وقوع الشرط بخلاف المثال الثاني فان الجزاء فيه مسلم

المسلمات من جنسهِ · والمفهوم منه امران احدهما ان الجزاء مترتب وقوعه على وقوع الشرط على ما هو المفهوم من المثال الاول وثانيهما الملازمة بين الشرط والجزاء وان هـذه الملازمة متحققة في المستقبل كما انها كانت كذلك في الماضي وهذا المفهوم زائد على المفهوم من التعليق في المثال الاوّل

فبناءً على وجود هذا الفرق بين التعليقين وحباً بسهولة البحث والتعبير قسمنا الشرط من حيث تعلق جزائه بشرطه الى قسمين سمينا احدهما (الشرط الملازم) والاخر (الشرط المنفكّ) فلنتقدم الان الى تعريف كل منهما مع ذكر بعض ملاحظات لا تخلو من فائدة ويسهل علينا معها تميز الشرط الملازم حيثما وقع و بالله التوفيق

﴿ الشرط الملازم والشرط المنفكّ ﴾

علمت مما مرّ بنا انّ التعليق قد يراد به الملازمة ما بين الشرط والجزاء وقد يراد به مجرّد ترتيب الجزاء على الشرط (مع لحاظ اعتقاد المتكلم بوقوع الشرط او بلا وقوعه كما سنقف على ذلك ان شاء الله) وعلمت ايضاً اننا بناءً على هذا الاختلاف بين نوعي التعليق قسمنا الشرط الى ملازم ومنفك فلئلا يذهب عن ذهنك ما اردناه نعود فنذكر لك ما نريد بكل منهما على صورة الحد فانه ادعى للرسوخ في الذهن واليك هو · الشرط الملازم هو ما

وقع مع وقوع الاول او بعده لسبب يلحظه العقل بينهما بعد وقوفه على مضمون كليهما · والشرط المنفك هو ما يدلُّ على ترتيب الجزاء على الشرط فقط من دون ان يكون بينهما ملازمة يوجبها العقل ويحكم بثبوتها لسبب عام متعارف

واعلم ايضاً اننا اذا نظرنا الى الشرط والجزاء من موقف اخر نصل الى نفس النتيجة التي مرّت بنا من قبل ونحكم بوجود شرط ملازم واخر منفك · ولزيادة ترويض الطالب وتنبيه خاطره نذكر لك حدّاً اخر للشرط الملازم والمنفك بعد ايقافك على الطريق الموصل لذلك

انت تعلم انّ التعليق كالاخبار في انّ منزلة الشرط والجزاء في هذا كالمبتدا والخبر في ذاك اي انه يمكن رد كل جملة شرطية الى مبتدا وخبر يتوسط بينهما الترتب المفهوم من التعليق في الجملة الشرطية · مثاله جملة «اذا ساد العاقل نفع الناس» وجملة «اذا ساد زيدٌ نفع الناس» فانه يمكننا ان نردّ الجملة الاولى الى سيادة العاقل يترتب عليها نفع الناس وان نرد الثانية الى سيادة زيد يترتب عليها نفع الناس على انك بعد هذا الرد اذا نظرت الى الجملة الاولى ترى انّ الخبر فيها مقطوع بصحة اسنادهِ الى المبتدا وثبوته له في كل الازمنة كما لا يخفى والعقل لا يشك بصدق الاسناد ومطابقته للحقيقة لوجود السبب المقتضي لذلك وهو كونه عاقلاً بخلاف الجملة الثانية فانّ اسناد الخبر فيها الى المبتدا بين ان يصدق وبين ان لا يصدق وليس للعقل من سببٍ متعارفٍ يحكم معه بصحة الاسناد وثبوته

على) بلفظة (يوجب او يقتضي دائمًا) مع بقاء الاسناد على صحته وثبوته في الجملة الاولى لوجود سبب يوجبه بخلاف الجملة الثانية فانَّ العقل يشك بصحة الاسناد فيها بعد التبديل لعدم السبب الذي يوجبه وعليه فلنا من هذه الوجهة تعريف اخر للشرط الملازم والمنفك والتعريف كما ترى · الشرط الملازم هو (ما امكن فيه رد الجملة الشرطيه الى جملة مؤلفة من المبتدا والخبر يقطع العقل فيها بصحة الاسناد ومطابقته للحقيقة دائمًا) والشرط المنفك هو (ما يمكن فيه ردُّ الجملة الشرطية الى جملة مبتدا وخبر لكن لا يقطع فيها العقل بصحة الاسناد ومطابقته للواقع دائمًا) (تنبيه · لاتنسَ الرابط بين جملة المبتدا والخبر بعد رد الجملة الشرطية اليها)

ابنًا لك فيما مرَّ اقسام الشرط الى ملازم ومنفك وعرَّفناك ما المراد من كل منهما والطريق الموصل الى تحديدهما · بقي علينا اتمامًا للفائدة ان نبين لك السبب الموجب للملازمة بين الجزاء والشرط بايفافك على انواعه ما هي

نوع السبب الموجب الملازمة بين الجزاء والشرط

اعلم ان هذا السبب انواع (اولاً) عقلي بديهي اي يعرف ببداهة العقل كقولك اذا تحرَّك جسم فلا بد له من محرّك وكقولك « اذا كان العالم حادثًا فلا يكون قديمًا » والملازمة هنا منظور اليها ابتداء من الحال مع ارادة انها ثابتة في المستقبل كما كانت في الماضي

طلعت الشمس وجد النهار « واذا غلا الماء تبخر » او على الاختبار والتجربة عند اربابها كقولنا اذا بلغت حرارة الماء درجة ٢١٢ فهرنهيت على مساواة سطح البحر غلا » اذا مرَّ بخار الماء على قطع حديدية محماة الى درجة الانارة انحل الى عنصريه المؤلف منهما » والملازمة هنا منظور فيها ابتداء من الماضي والحكم بصدقها في الحال والمستقبل

(ثالثًا) طبيعي ادبي · والملازمة مع هذا السبب اقل وضوحًا احيانًا منها مع السببين المارَّين وربما اوجبت الوقفة برهة مع كثيرين في بادي الرأي · كقول القائل « اذا اكرمت الكريم ملكته » وكقولك « اذا عمَّ العدل ازداد العمران واذا عمَّ الظلم تناقص » والملازمة مبنية على ما هو متحقق من طبيعة الكريم والعدل وينتقل فيها من الماضي الى الحال والمستقبل على ما في السبب الثاني

(رابعًا) شرعي ديني · والجزاء هنا اذا كان الشرط متعلقًا بالاعتقادات كان في الغالب بصورة الخبر وعليه ورد الحديث « اذا همَّ العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتبت عشر حسنات واذا هم بخطية لم تكتب عليه فاذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عزَّ وجلَّ » ومنه قول الانجيل « فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم ايضًا ابوكم السماوي وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم ابوكم ايضًا زلاتكم » فاذا كان مما يتعلق بكيفية العبادات

فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم اموالهم . فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم »

(رابعاً) عرفي اصلاحي . كقولك « اذا وجد البناء امتنع ظهور علامة الاعراب » وكقولك فان اقترن الجواب (اي جواب الشرط) بالسين او سوف وجب ربطهُ بالفاء وهنالك علامات لفظية تدلُّ على الشرط الملازم لا تخلو الاشارة اليها من فائدة اقلهُ انه بعد وقوفك عليها تحكم معها بان الشرط من قبيل الملازم من غير اطالة روية وهي

(ا) اذا كان الجزاء امراً او نهياً للتعليم كقول المثل الدارج « اذا دخلت على مدينة العوران فضع يدك على عينك » وعليه المثل المتعارف « اذا اردت ان تطاع فسلْ ما يستطاع » وكقولك « اذا نزلت بك الشدة فلا يخر عزمك واصبر » ومن هذا الباب قولك « اذا جئت لزيارة قوم فسلم اولاً على رب البيت ثم على غيره من الحاضرين » وهو شائع متعارف

(ب) اذا وقعت الجملة الشرطية معرّفاً كما اذا سئلت عن المروءة ما هي فقلت « اذا استغنى المرءُ اغنى اهله عن غيره » وعليه الحديث في الصفح الجميل « اذا صفحت عمن ظلمك فلا تعاتبه » وقد يجتمع المعرف والمعرَّف في الجملة فيكون الشرط بمنزلة المعرف والجزاء بمنزلة المعرَّف كقولهم في الناقة التي مات ولدها « فان درَّت عليه فتلك الدرور وان لم تدر فتلك العلوق »

لبَّته المعاني والالفاظ طوعاً لامره وهذا الذي اذا وعد وفى واذا قال فعل » وعليه قوله

جانب السلطان واحذر بطشهُ ... لا تخاصم من اذا قال فعل

(د) اذا وقعت جملة الشرط خبراً عن مبتدا ما لم يكن معرفة معيناً كقولك « الكريم اذا رغبته في صنيعة رغب » فاذا كان المبتدا معرفة معيناً كقولك « زيد اذا رغبته في صنيعة رغب » جاز ان تسلم الملازمة وجاز ان لا تسلم فاذا قلت « زيد كريم اذا رغبته في صنيعة رغب » وسلمت له بوصف الكرم سلمت الملازمة هنا كما تسلم في مثل الكريم اذا رغبته في صنيعة رغب

(ه) اذا وقعت الجملة الشرطية خبراً لكان فانه يقصد من التعليق حينئذ الدلالة على العادة في الماضي ولا بد في العادة من اعتبار مزاولة الفعل في الماضي وتوقع حصوله في المستقبل وهذا نوع ملازمة كما لا يخفى نحو قول بعضهم « وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي » فان مفهوم الملازمة بين نزولهم في وادٍ وقولهم نعوذ بعزيز هذا الوادي واضح كل الوضوح الاَّ انه حكاية ماضية وقريب من هذا قول القائل

وكنت اذا غمرت قناة قوم ... كسرت كعوبها او تستقيما

وقول الآخر

وكنت اذا قوم رموني رميتهم ... فهل انا في ذا يا لهمدان ظالم

ابدًا تنبه العقل الى الملازمة كما لو تضمن الشرط سببًا يدل عليها · اما اذا وقعت الجملة الشرطية خبرًا (لان) كقول القائل

انا بني نهشل لا ندعي لابٍ عنهُ ولا هو بالأبناء يشرينا
ان تبتدرْ غاية يومًا لمكرمة تلق السوابق فينا والمصلينا

او مفعولاً ثانيًا لافعال القلوب مما يدل على اليقين كقوله

اني رأيت اللهَ الكريم اذا رغبتهُ في صنيعةٍ رغبا

فحكم الشرط هنا حكمه اذا وقع خبرًا لمبتدا على ما مرَّ بك في (د) واما افعال الشك فلا تدخل على الشرط الملازم لتنافي مضمونها فلا تقول اظن الجسم اذا تحرك فلا بد له من محرك ولا تقول ايضًا احسب العدل اذا عم زاد العمران واخال الشمس اذا طلعت اضاءت وكذلك لا تدخل عليه ليت ولعل وما هو في معناها كعسى ولا ما يدل على المقاربة ككاد الا ان هذه لا يمتنع دخولها على الشرط المنفك والله اعلم

واعلم انه قد ينتظم في سلك الشرط الملازم ما اذا فهم من الجملة الشرطية او أُريد بها الدلالة على خلقٍ او عادةٍ لبعضهم بشرط موافقة ذلك لاعتقاد المخاطب لانَّ المقصود بجملة الشرط حينئذٍ الاشارة الى حال من هي له في الماضي والى ان تلك الحالة ثابتة له في المستقبل ما لم يعارض ذلك (اي ثبوت الملازمة في المستقبل) ما يمنعه صراحةً كذكر (كان)

واوضح ما يستشهد به لما قدمناهُ ما جاء في التنزيل من وصف بعض

خلق القوم وعادتهم وهذا هو المراد بها ايضًا · الاَّ ان المنظور اليه ابتداء فيها انما هو الايماء الى ما وقع من اولئك المنافقين قبل نزول الاية وفيها زيادة اخرى وهي انها تلمح الى ان هذا مستمرٌّ منهم في المستقبل · وهذا الغرض من الجملة الشرطية (اي الايماء الى حادثةٍ وقعت في الماضي بعينها وارادة انها ستتكرر في المستقبل) امرٌ كثير الوقوع على سبيل التعريض في المخاطبات والمكاتبات وعندي ان الشرط فيها اولى ان يعد من قبيل الملازم لا من قبيل المنفك لان الكلام مبنيٌّ معها من اول الامر على ارادة الملازمة (لما يسوّغها في اعتقاد المخاطب) والفرق بين الملازمة هذه وبينها في قولنا «اذا عمَّ العدل ازداد العمران» مثلاً واضح فان الاولى لا سبب يوجبها الا اعتقاد المخاطب وتلك سببها طبيعي ادبي كما علمت

وقبل ان اختم الكلام في هذا المبحث لا ارى بدًّا من التنبيه الى أن الملازمة قد تكون حقيقية كما علمت وقد تكون إدعاء لغلبة ميل الناس واقبالهم على ما يدل عليه مضمون الجزاء او لغرض من الاغراض الشعرية كالمبالغة فمثال الاوَّل قول بعضهم

اذا قلت يومًا لمن قد ترى أروني السريَّ أرَوْك الغني

فانه لغلبة ميل الناس الى الغنى واقبالهم على الغنيّ ادعى الشاعر الملازمة بين سؤالك عن السريِّ وبين جوابهم لك انه الغنيّ ومثال الثاني قول ابن الوردي

ان تبدَ شمس الضحى واذا ما ماس يزري بالأسل

ما اردنا ذكره في الشرط الملازم وبيان اسباب الملازمة وما يحوم حولها وفوق كل ذي علم عليم

البحث الثاني

في ما المراد بإن واذا والفرق بينهما في الاستعمال

المراد بإن واذا الربط او التعليق بين الجزاء والشرط كسائر ادوات الشرط الا انهما تفترقان عن بقية الادوات في انه لا ينظر بلفظهما الى التعميم في الزمان كما في ادوات الزمان ولا الى التعميم في المكان كادوات المكان ولا الى التعميم في الموصوفات كما في الادوات التي تدل عليها: فقولك مثلا « متى زرتني تجدني يراد به ان تزرني اليوم او غدًا او بعد غدٍ صباحًا او مساء الخ تجدني » وهذا العموم في الزمان يدل عليه بلفظ (متى) بخلاف قولك ان تزرني تجدني او اذا زرتني تجدني فان لفظ ان واذا خالٍ بنفسهِ عن التعميم المدلول عليه بمتى وان صح ارادته في جملتهما عند عدم القرينة على ارادة التخصيص فيها

وهنالك فرق اخر وهو انه يمكنك الابدال من بقية الادوات غيرهما ولا بدَّ حينئذٍ من اظهار (ان) مع البدل كقولك « متى تزرني ان غدًا او بعد غدٍ تجدني » وكقولك « اينما كنت ان في البلد او خارجها اكون معك » ولا يبدل من (ان واذا) انما يصح تقييد شرطهما بالزمان والمكان كما لا يخفى

المتكلمين في الاستعمال بينهما بالنظر الى اعتقاد المتكلم فجعلوا (ان) للدلالة على انه يشك بوقوع الشرط واذا للدلالة على انه يقطع بوقوعه . وقد اجمع جميع علماء المعاني على وجوب مراعاة هذا الفرق في استعمالهما وقالوا ان الفصيح لا يقول مثلاً « اذا جاء زيدٌ اكرمتهُ » الاَّ وهو يقطع ان مجيئه سيقع (ولا يقطع بان الشرط سيقع الاَّ لسبب يقتضيه عنده) فتكون (اذا) في كلامه قرينة عند السامع يفهم منها اعتقاده بالقطع وكذلك لا يقول « ان جاء زيدٌ اكرمته » الاَّ وهو يشك بوقوع المجيء فتكون (ان) في كلامه قرينة تدل على اعتقاده بالشك . وهكذا ورد استعمال هاتين الاداتين في الكلام المقطوع بفصاحة قائله كالحديث وآيات التنزيل واليك مثال ذلك . روى انه (صلعم) أمر اميرًا وارسله لقتال المشركين فقال له « اذا لقيت عددًا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان هم اجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم » فانه لما كان لقاء عدد من المشركين من المقطوع بوقوعه استعملت اذا في جانبه ولما كانت بقية الشروط (اي فان اجابوك وان ابوا وان هم اجابوك) جميعها من المشكوك بوقوعها استعملت (ان) في جانبها

على انك اذا استقريت كلام الفصحاء لم تجدهم وقفوا في استعمال هاتين الاداتين عند هذا الحد بل تجاوزوا بان من الدلالة على الشك الى الدلالة على اسباب الشك ودواعيه وباذا من الدلالة على القطع الى الدلالة على

الفعل الى سببهِ بدلاً من اسناده الى فاعله كقولهم « بنى الامير المدينة ومدَّ الوالي الاسلاك البرقية » و يسندونه ايضاً الى زمانه او مكانه او شرطه كقولهم « انبت الربيع البقل وسال النهر وأنزل الغيم المطر » ومنه قول الشاعر

اشاب الصغير وافنى الكبير كرُّ الغداة ومرُّ العشيّ

وهم ايضاً يحذفون جواب الشرط ويقيمون سببه او ما له تعلق به مقامه وكذلك يحذفون فعل الشرط و يدخلون الاداة على متعلقه كما مرَّ بك

فاذا علمت هذا قلنا لك ان هذا حالهم مع ان واذا فانهم يستعملونها كثيراً لا للدلالة على ان المتكلم يشك بوقوع الشرط او يقطع به بل للايماء الى سبب من اسباب الشك او القطع فهذا المتنبي يقول

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمرّدا

فلم يستعمل (اذا) للدلالة على انه يقطع بوقوع الشرط ولا (ان) للدلالة على انه يشك بوقوعه بل للتنبيه على ان اكرام الكريم واقعٌ موقعه وعلى عكسه اكرام اللئيم لانه لا يستحقُّ الاكرام ترغيباً في الاول وحثاً عليه وتنفيراً من الثاني وصرفاً عنه . وهذا ابو العلا يقول

لفظٌ كانَّ معاني الشكر نسكنهُ فمن تحفظ بيتاً منهُ لم يفق
اذا ترنم شادٍ للبراع بهِ لاقى المنايا بلا خوف ولا فرق
وان تمثل صادٍ للصخور بهِ جادت عليهِ بعذب غير ذي رنق

فان الجملتين الشرطيتين في البيت الثاني والثالث كلٌّ منهما نعت (لفظٌ) في البيت الاول والقول بان (اذا) في البيت الثاني للدلالة على القطع و (ان)

والوصف يقتضي التلبس والثبوت وهذا يباين اعتقاد الشك و يمنع منه وعليه فقد خرج ابو العلا بان واذا عن اصل دلالتها الى ما له تعلق بها من سبب او داعيةٍ واقرب ما يقال انه لما كان الشرط في البيت الثاني قريب من المألوف والمعتاد وفي البيت الثالث بعيدٌ عنهما والقرب من المألوف سبب للقطع والبعد عنه سبب للشك لاجرم استعمل (اذا) مع الاول و (ان) مع الثاني اما قصداً او عفواً مدفوعاً اليه بحسن الذوق وكثرة مزاولته الكلام البليغ وتخرُّجه فيه . وقريب من هذا قول الاخر

يارب ان قدرتهُ لمقبّل غيري فللأقداح او للاكؤس
واذا حكمت لنا بعين مراقب في الدهر فلتك من عيون النرجس

فان الشرطيتين في البيت الاول والثاني واقعتان جواباً للندا وأولى ان يكون حكمها بالنظر الى اعتقاد القطع او الشك واحداً فضلاً عن ان القطع يقتضي سبباً متعارفاً معلوماً لا دليل على وجوده في البيت الثاني الا على شاكلة ما هو في البيت الاوّل ولهذا فعندي انه نظر في البيت الاول الى ما يشقُّ على النفس تحمله من تقبيل غيرة حبيبه لما فيه من النفرة الطبيعية ونظر في البيت الثاني الى ما في تحمل عين الرقيب من السهولة بالنسبة الى التقبيل فاستعمل (ان) في الجانب الاوّل و (اذا) في الجانب الثاني لان في تفورك الشيء وامكان تحملك المشقة بسببه ما يدعو بك الى الشك بوقوعه كانك لا تريد به ان يقع بخلاف ما هو على عكسه

ولا اقول ان الشاعر نظر قصداً الى ما تأولت له به كلامه بل ربما

كانت او اكتساباً والشواهد على الخروج بان واذا عن اصل استعمالها الى الاسباب التي تدعو الى الشك او القطع كثيرة لمن اراد الوقوف عليها في كلام الفصحاء وأهم من ذكر تلك الشواهد ان نبين لك تلك الاسباب ما هي فتعتبرها في ما تراه من كلامهم واليك هي

﴿ الاسباب التي يميل معها العقل الى الشك او تدعوه اليه ﴾

(اولاً) كراهة الشي او توقع الضرر منه وما في معناها

(ثانياً) ندرة وقوعه

(ثالثاً) صعوبته في نفسه او صعوبة الاسباب التي يتوصل بها اليه

(رابعاً) مخالفته للمعتاد او للمجرى الطبيعي المتعارف

(خامساً) مخالفته لما في اعتقادك او لما تتوقعه

(سادساً) اذا كان المقصود اضافته اليه لا يستحقه كاكرام اللئيم مثلاً

(سابعاً) الاستقبال مظنة للشك في الغالب فانك اذا التفت الى شيء باعتبار انه سيقع قام في نفسك مع التفاتك هذا خاطر الشك

فهذه على ما نرى الاسباب التي تدعو الى الشك والتي يصح للكاتب ان يستعمل (ان) للاشارة الى واحد او اكثر من واحد منها ولسهولة الاشارة اليها نسميها بمتعلقات الشك او اسبابه . واما اسباب القطع فعكس هذه واليك هي

﴿ الاسباب التي يميل معها العقل الى ﴾
﴿ القطع بوقوع الشيء او تدعوه اليه ﴾

(اولاً) الرغبة في الشيء او توقع النفع منه وما في معناها

(ثانياً) كثرة وقوعه

(ثالثاً) سهولته في نفسه او سهولة الاسباب التي يتوصل بها اليه

(رابعاً) موافقته للمعتاد او للمجرى الطبيعي المتعارف في النفس او في الخارج

(خامساً) موافقته لما في اعتقادك او لما تتوقعه

(سادساً) اذا كان المقصود اضافته اليه مستحقاً له

(سابعاً) النظر اليه انه وقع في الماضي او كان سبق عنه اخبار بوقوعه نحو « هو رجل ابلج احور من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص فاذا دعاكم فاجيبوه » ونحو « لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج يثرب فاذا سمعت به فافتحه »

فاذا علمت هذه الاسباب فاعلم ان (ان واذا) قلما يخرجان عن اصلها من الدلالة على الشك والقطع الا الى ما له تعلق به من الاسباب المارة

البحث الثالث وفيه بحثان

﴿ بحث اول ﴾

﴿ في استعمال ان واذا في الشرط الملازم ﴾

مرَّ بنا تحديد الشرط الملازم وعرفنا ما المراد منه ونزيد هنا انه ابدًا متحققٌ فيه وقوع الشرط وان المقصود منه بالذات انما هو الدلالة على التعليق وبيان الملازمة بين الجزاء والشرط لا بيان ان الشرط مقطوع بوقوعه او مشكوكٌ فيه . اما ان الشرط فيه متحقق الوقوع فواضح من اقل تأمُّل في قولنا « اذا غلا الماء تبخر » واوضح منه طلوع الشمس في قولنا « اذا طلعت الشمس وُجد النهارُ » لكن ربما يتوقف بعضهم بادئ الرأي في قول المتنبي « اذا انت اكرمت الكريم ملكته » الَّا انه اذا تامل علم انه لا يراد كريمًا بعينه في الجملة ولا مخاطبًا بعينه في زمان معين ومع هذا الاطلاق فاكرام كريم ما امرٌ مقطوع بوقوعه ومثله « اذا يسر الله أمرًا هيأ اسبابه واذا تاب العبد غفر له » فان تيسير الله لامرٍ ما وتوبة عبد من عباده ابدًا مقطوع بوقوعهما فقس على ما ذكرنا غيره من بقية امثلة الشرط الملازم فانك تجد الشرط متحقق الوقوع في جميعها . ولما كان الامر كذلك فلا يصحُّ بعد استعمال ان واذا على اصلهما مع الشرط الملازم اما (اذا) فلأن استعمالها على اصلها تحصيل للحاصل واما (ان) فللمنافاة بين اصل استعمالها القطع بوقوع الشرط

وعليه لا تستعمل ان واذا في الشرط الملازم الَّا لاحد امرين اما للدلالة على مجرَّد الربط وحينئذٍ فالميزة لاذا على (ان) لعدم المنافاة بين اصل دلالتها وتحقق وقوع الشرط المفهوم من الجملة ولوجود المنافاة مع (ان) كما مرَّ بك . واما للدلالة على الربط مع لمح شيءٍ من متعلقات الشك او القطع على حسب ما يقتضيه المقام مع ان واذا وهذا ما نريد بيانه بالاستشهاد وقد المحنا الى شيءٍ منه في الفصل الذي مرَّ بك قال بعضهم

اذا ضيقت امرًا ضاق جدًّا ... وان هوَّنت ما قد عزَّ هانا
فلا تهلك لشيءٍ فات يأسًا ... فكم امرٍ تصعَّبَ ثم لانا

وهما من ابيات الكامل للمبرِّد فاستعمل اذا في صدر البيت وان في عجزه مع ان الشرط من قبيل الملازم في الجملتين اشعارًا بان تضييق الامر جارٍ على المعتاد المعروف من طباع الناس وانَّ تهوين الامر النازل بهم مخالف للمألوف من طباعهم فلا يقع الا من افرادهم وهم اهل الحكمة واولو البصر . والبيت الثاني نصيحة بترك التضييق لمن ضيَّقَ على نفسهِ مع بيان الوجه المبنية عليه تلك النصيحة وفيها دليل على ان الشاعر يلمح الى ان التضييق هو الموافق للمجرى المعتاد عند اكثرهم فتأمَّل

وعلى هذا النمط تتاوَّل ابيات بشامة بن حزن النهشلي يفتخر بقومه وما هم عليه من رائع الصفات ومكارم الاخلاق . قال

انا بي نهشل لا ندعي لاب ... عنهُ ولا هو بالابناء بشرينا

اذا الكماة نحوا أن ينالهم حدُّ الظباة وصلناها بايدينا

فاستعمل ان في البيت الثاني واذا في البيت الثالث مع ان نوع التعليق واحدٌ لانه نظر مع ان الى المستقبل ومع اذا الى الماضي

واليك ما قال الاخر

يمثل ذو اللُّبِّ في نفسهِ مصائبَ قبل أن تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعهُ لما كان في نفسهِ مثَّلا
وذو الجهل يأمن ايامهُ وينسى مصارع من قد خلا
فان بدهتهُ صروف الزمان بعض مصائبهِ أعولا

فانه استعمل ان في البيت الثاني والرابع فان قلنا انه استعملها في اصل معناها اي الشك وقع التنافي بين المراد بها وبين المفهوم من تحقق وقوع الشرط فانه لا ينكر تحقق وقوع المصائب بغتة بذي اللب وبالجاهل الاَّ المكابر لانه لا يراد بذي اللب شخصاً بعينه ولا بالجاهل جاهلاً بعينه بل يراد مطلق ذي لبٍّ ومطلق جاهلٍ ومع هذا الاطلاق فتحقق وقوع الشرط ظاهر للتامل ظهور طلوع الشمس فلم يبقَ الاَّ انه اراد أن يلمح الى متعلق الشك فلمح بالبيت الثاني اما الى ان ذا اللب لا يستحق ان تباغته المصائب واما الى انهُ يكرَهُ لهُ أن تباغتهُ ولمح بان في البيت الرابع الى ندرة مباغتة صروف الزمان للجاهل اعتماداً على الاعتقاد الشائع ان الجهال قلما تنزل بهم المصائب بل تتخطاهم الى العقلاء وَربما كان قولهُ في البيت الثالث · « وذو الجهل يأمن ايامهُ » اشارة الى هذا الاعتقاد

اذا انت أعطيت الغنى ثمَّ لم تجد بفضل الغنى ألفيت ما لك حامد
اذا انت لم تعرك بجنبك بعض ما يريب من الادنى رماك الاباعد
اذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل عليك بروق جمة ورواعد
اذا العزم لم يفرج لك الشك لم تزل جنيباً كما استلى الجنيبة قائد
وقلَّ غناء عنك مال جمعتهُ اذا صار ميراثاً وورَّاك لاحد
اذا انت لم تترك طعاماً نحبهُ ولا مقعداً تدعى اليهِ الولائد
تجللت عاراً لا يزال يشبُّه سباب الرجال نثرهم والتصائد

فانه لما لم يقصد الاَّ الى الربط تنصحاً للمخاطب وتنبيهاً لهُ الى ملازمة مقررةٍ عندهُ لا جرم اذا استعمل (اذا) في جميع ابياته

واما قول ابن الوردي صاحب اللامية المشهورة

والله عن آلهٍ لهو أطربت وعن الامرد مرنج الكمل
ان تبدَّى تكسف شمس الضحى واذا ما ماس يزري بالاسل

فانه ادَّعى أنَّ الشرط من قبيل الملازم مبالغةً الاَّ انه استعمل (إن) في صدر البيت و (اذا) في عجزه لان المبالغة في عجز البيت اسهل قبولاً منها في صدره · وعلى هذا النحو تأوَّل لهُ قولهُ في القصيدة عينها قال

أنا لا اختار تقبيل يد قطعها اجمل من تلك القبل
ان جرتني عن مديحي صرت في رقها او لا فيكفيني الخجل

فانه عدَل عن اذا الى ان للدلالة على أنه يكره أن تجزيه تلك اليد لانها يد لئيم بدليل قولهِ « قطعها اجمل من تلك القبل » وربما قصد الى انه لما كانت

العطاء على اللئيم ولداع آخر عدل الى (إن) فيما بعد هذا حيث يقول

بين تبذير وبخل رتبة وكلا هذين ان زاد قتل

فانه اشار باستعمالها دون (اذا) الى كراهة الزيادة او الى الضرر الناتج عنها ويؤيده الجواب

جاء في سفر ثنية الاشتراع « اذا رأيت حمار مبغضك ساقطاً تحت حمله فلا تتجاوزه حتى تحل عنه » وجاء في الرسالة الى الرومانيين « ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقه » والشرطان في الآيتين ملازمان يتعلقان بالمعاملات ولا وجه لاختلاف الاداتين فيهما الاَّ ان يقال ان فعل الشرط في الاولى كثير الوقوع وموافق للمألوف المشاهد بخلافه في الآية الثانية فانه نادر الوقوع خارج عن جاري المعتاد

والخلاصة انَّ (اذا) في التعليق او الشرط الملازم تستعمل تارةً للربط فقط واخرى له وللدلالة على سبب من اسباب القطع ودواعيه واما (ان) فلا بدَّ معها فضلاً عن الربط من النظر الى شيء من متعلقات الشك واسبابه لا الى الشك نفسه

وبعد اذ علمت ما علمتهُ فقد تهيأت للنظر في ايات الحديث والتنزيل فانها اولى أن تراعى فيها هذه الاعتبارات دون ما سواها . جاء في الحديث « ان الله لا يملُّ من المغفرة حتى يملَّ العبد من الاستغفار فاذا همَّ العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها ﴿ فان ﴾ عملها كتبت عشر

جزء ٤ وجه ١٣٦) فان الشرط من الملازم في الجمل الاربع الاَّ انهُ استعمل (اذا) في الجملة الأُولى (وان) في الثانية للاشارة الى سهولة (أن يهم العبد بالحسنة) وصعوبة عملها عليه بالنسبة الى مجرد همه بها وهذا ظاهر الاَّ ان الاعتبار البليغ الذي تفقد عليه الخناصر انما هو في قوله « واذا همَّ بخطية لم تكتب عليه فاذا عملها » فانه لم يقل فان عملها كما قال بعد الحسنة مع انه الموافق لنظم الكلام والمتبادر اليه في الاستعمال بل عدل عن (ان) الى (اذا) للاشارة الى ان عمل الحسنة بعد ان يُهم بها فيه مشقة لخروجه عن مجاراة هوى النفس فلا يتم للمرء الاَّ بعد مغالبة النفس وقهر الهوى بخلاف عمل السيئة بعد اذ يهمُّ بها فانه خالٍ من المشقة لموافقته ميل النفس وهواها . فتأمل

ومن ايات التنزيل التي يستشهد بها البيانيون في باب (ان واذا) قوله « اذا اصابتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه » فان الشرط من قبيل الملازم في الجملتين وارادة الملازمة ظاهرة لانه اخبار بان هذه كانت عادتهم والعدول عن (اذا) الى (ان) في الجملة الثانية انما هو للنظر الى الاستقبال من جهة وللنظر الى ندرة اصابة السيئة في جانب الاصابة بالحسنة من جهة اخرى وعندي فيه نظر آخر وهو انه استعمل (اذا) في جانب اصابة الحسنة للدلالة على انه الموافق لمجرى المعتاد من رحمته تعالى واستعمل (ان) في جانب الاصابة بالسيئة اشعاراً بانه مخالف لمجرى رحمته لانه مما لا يريده جل شأنه لخلقه فان اصابهم بها فانما هي جزاء بما يستحقون

الانسان على العموم الأمن هدى الله واستعملت (اذا) لانها اولى بالاستعمال عند ارادة مجرّد الربط في الشرط الملازم . فان قلت فلماذا لم تدخل ان على مسّ الضرّ للاشعار بانه مخالف لمجرى رحمته ومعاملته خلقه على ما في الاية المارّة قلت لا يلزم ذلك ولا كل مقام يقتضيه وفضلاً عن ذلك فان هذا المعنى مدلول عليه بلفظ المس والتخويل فاغنى ذلك عن المخالفة بين الاداتين بخلاف الاية الاولى فان لفظ الشرط (اعني الاصابة) واحد في جانب الحسنة والسيئة فاثلاً يتوهمّ من نظم الكلام

واتفاق لفظ الشرطين ان كلاً من الاصابة بالحسنة والسيئة من باب واحد (اي انه الموافق لمجرى احكامه لا فرق بين ان يصاب بعض خلقه بالحسنة او السيئة) عُدل الى المخالفة بين الاداتين دفعاً لهذا التوهم . فتامل

ولزيادة التقرير نورد لك آية اخرى « يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار » فان الجملتين من باب الشرط الملازم والملازمة واضحة كل الوضوح اي وجوب الامتحان اذا جئن مهاجرات وعدم ارجاعهن الى الكفار ان علم ايمانهن وكان مقتضى نظم الكلام ظاهراً استعمال اذا في الجملة الثانية الا انه عدل عنها الى (ان) للتنبيه على صعوبة تحقق العلم بايمانهن

هذا ما خطر لنا في استعمال (ان واذا) في الشرط الملازم فان لم تر

﴿ بحثٌ ثانٍ ﴾

﴿ في استعمال (ان واذا) في الشرط المنفك ﴾

لا بد في ان واذا مع الشرط المنفك من مراعاة اصل معناها فلا تستعمل (اذا) الاّ للدلالة على اعتقاد المتكلم في انّ الشرط مقطوع بوقوعه عنده اذا لم يكن مقطوعاً به في نفسه . وفائدة ذلك راجعة الى ترتيب الجزاء فاذا قلت « اذا زارني زيد غداً ذهبت لزيارتك » فالفائدة هي انك وعدت المخاطب بزيارة مقطوع بها عرفاً والمخاطب في مثل هذه العبارة يتوقع زيارتك توقعاً مقطوعاً به اعتماداً على انك لم تقل « اذا زارني زيدٌ غداً » الا وانت متحقق زيارته لسبب عندك يوجب ذلك في اعتقادك فاذا ترك المخاطب البيت في الغد فجئت فلم تجده فلك ان تلوّمه على ترك البيت وعدم انتظارك وليس له ان يقول ما علمت اولم تعدني وعداً ينفي الشك بانك ستأتي لان معنى عبارتك هو انك لا تشك بزيارة زيد واذا كنت لا تشك بزيارته فقد صارت زيارتك المعلقة على المقطوع به مقطوعاً بها ايضاً

وعلى عكس ذلك اذا لم تأت لزيارة المخاطب فله ان يعاتبك وعليك ان تعتذر عن نفسك ولا يجديك القول نفعاً « ان زيداً ما زارني » لان للمخاطب ان يحجك بقوله ما كان لك ان تؤكد لي مجيء زيدٍ قبل ان تتاكده انت بخلاف ما اذا قلت « ان زارني زيدٌ غداً ذهبت لزيارتك » فان للمخاطب ان يشك في زيارتك واذا ترك البيت في ميعاد الزيارة وخرج لاشغاله فليس لك ان تعاتبه لان له ان يقول لك ما اكدت لي انك

وكذلك اذا ادخلت (اذا) على شرط متحقق الوقوع في نفسه كقولك لاحد معارفك «اذا كان الظهر غداً اتيت لزيارتك» فانك تكون قد وعدته بزيارة في ظهر الغد مقطوع بها كالقطع بصيرورة الظهر غداً فكانما انت قلت له لا بد لي من زيارتك غداً الظهر · على ان (اذا) في مثل هذا المثل انما هي للدلالة على ربط الجزاء بالشرط اشارة الى ان الجزاء من نوع الشرط في التحقق بالنظر الى اعتقادك لا للدلالة على اعتقادك لانه اصبح بالنظر الى تحقق وقوع الشرط في نفسه من باب تحصيل الحاصل واما (ان) فلا يصح ان تدخل عليه للمنافاة بين اصل دلالتها وبين مفهوم الشرط في نفسه كما ذكرنا ذلك مراراً

وخلاصة ما نقوله هنا ان الشرط المتحقق الوقوع في نفسه موضع (لاذا) دون (ان) وغيره صالح لدخول كل منهما فاذا ادخلت عليه (اذا) فقد اردت الدلالة على انك تعتقد وقوعه لسبب معلوم عندك واذا ادخلت (ان) فللدلالة على ان ليس عندك من سبب يرجح وقوعه او لا وقوعه

واعلم ايضاً انك اذا كنت ترغب في وقوع الشرط او كان وقوعه نافعاً لك او موافقاً لما في اعتقادك او لما في انتظارك او كان المضاف اليه الشرط جديراً به وفقاً للحقيقة او للاعتقاد فجميع هذه قد تقوم عندك مقام الاسباب التي يقطع معها بوقوع الشرط فتكون علة لسواغية استعمال (اذا) وبعبارة اخرى يصح ان تلمح هذه الاغراض التي هي اسباب للقطع وتجعل (اذا) قرينة عند السامع للدلالة على انها مقصودة عندك واذا صح ان تلمح (باذا)

اذا قال لك صديق لا تشك بصدقه سمعت زيداً وعمراً يقولان سنذهب هذه الليلة لزيارتك وكان زيد فكهاً اديباً وعمرو على عكسه · فاذا قلت في جواب هذا الصديق «اذا جاء زيد ارسلنا وراءك وان جاء عمرو فاذا افترسل وراءك ام لا» كانت (اذا) في الجملة الاولى دليلاً على رغبتك في مجيء زيد و(ان) في الثانية دليلاً على كراهتك مجيء عمرو وهكذا ينبغي ان تخرج الكلام الا اذا اردت الاخفاء والمغالطة فكفتك (اذا) التصريح بلفظ الرغبة او المديح وكفتك (ان) التصريح بلفظ الكراهة او ما في معناها وهي اغراض لطيفة في كلام الفصحاء تنزّه كلامهم كثيراً عما يخلّ بالرقة وحسن التهذيب وفي ما ذكرت غنى عما لم اذكره مما لا تفوت اللبيب معرفته

بقي (لان) على ما يؤخذ من استقراء أمثلتها في كلام الفصحاء وجه اخر في الاستعمال وهو ﴿ ايهام الشك ﴾ وقد غفل البيانيون عن هذا الوجه فاوجب لهم ذلك اضطراباً في تخريج امثلتها في كثير من المواضع ومع كل ما تكلّفوه في اظهار الوجه المستعملة فيه تطبيقاً على اصلها بقي في تخريجاتهم آثار الكلفة وعدم الانتهاء الى ما يقنع

ونحن نشير لك الى هذا الوجه اعني (ايهام الشك) والاغراض المرادة منه واول ما نذكره ان ايهام الشك لا يكون الا مع الشرط المنفك وثانياً ان أداته لا تدخل الا على شرط قد تحقق وقوعه من قبل كقول المتنبي في بدر بن عمار وقد فصده الطبيب فغار المبضع اكثر من حقه فاضيف به ذلك

او على شرط متحقق صدقه كقول المتنبي ايضاً

ان يكن صبر ذي الرزيئة فضلاً تكن بيننا الاعز الاجلاً

او عدم صدقه كقول ابي العلاء

زعم المنجم والطبيب كلاهما ان لا معاد فقلت ذاك البكا

ان صح قولكما فلست بنادم او صح قولي فالوبال عليكما

فان اضرار البضع بيد ابن عمّار امرٌ تحقق وقوعه فاوهم المتنبي انه شاكٌّ فيه والغرض بذلك تسلية الممدوح وتطييب خاطره وربما اراد ايضاً نفي التشفي عنه وبيان ذلك انه لما اوهم انه شاكٌّ باضرار البضع توجه العقل الى الجزاء علّه يرى فيه سبباً للشك فرتب الشاعر على الضرر المذكور في الشرط ضرراً اخر اوهم انه من جنس الضرر المذكور فيه اي « فربما ضرَّ ظهرها القبل » فكان بذلك تطييب لقلب الممدوح كما تقول لنادم على خطاء وقع منه في مسألةٍ « ان كنت قد اخطأت في هذه المسألة فاذكر انك اصبت في مسألة كذا ومسألة كذا » تعدّد له مسائل ذات شأن كان اصاب رأيه فيها جميعاً فانك بذلك تطيب قلبه وتصرف ذهنه عن الخطاء الحاضر الى الاصابة في الماضي وربما قد يموّه على نفسه انك لا تعتقد خطأه في هذه المسألة الاّ كما تعتقدهُ في تلك التي عددتها له . فعلى هذا المبدا جرى المتنبي فانه علّق على الضرر المذكور في الشرط ضرراً اخر في الجزاء ادعاء ان الضررين من نوع واحدٍ ولما كان ضرر القُبل بظاهر اليد فيه نفي للممدوح ولا وجه معه لتشفٍ حاسد لا جرم انصرف الذهن مغالطة

واما قوله

ان يكن صبر ذي الرزيئة فضلاً تكن بيننا الاعزّ الاجلاً

فانه صرف بايهامه الشك في ما لا شك فيه النظر عن المشكوك فيه وابرزه اي المشكوك فيه بصورة امرٍ متحقق لا ريب فيه وبيانه انه لولا ايهام الشك بالشرط لكان مساق برهانه على هذه الصورة

« صبر ذي الرزيئة فضل وانت اصبر الناس فانت افضلهم » والقضية الاولى متحققة عقلاً واما الثانية فلا . ويمكن فيها اتهامه بارادة التقرّب الى الممدوح فصانع عن كل ذلك بايهام الشك في القضية الاولى فصار مؤدى كلامه الى هذه الصورة

« ان يكن صبر ذي الرزيئة فضلاً وانت افضل الناس لانك اصبر الناس » وعلى هذه الصورة انقلبت القضية الثانية المشكوك فيها في الكلام الاول الى قضية محققة لا ريب فيها لانه جعلها تعليلاً والتعليل لا يكون فيه شك كما لا يخفى

واذا علمت هذا فلنتقدم الآن لبيان الاغراض الممكن ان تراد مع ايهام الشك والاستشهاد على كل غرض غرض بكلام من لا ينازع بفصاحتهم اولا يشك فيها اصالة والله الموفق الى الصواب

﴿ الاغراض الخطابية التي تبنى على ايهام الشك ﴾

(أوّلاً) صرف النظر عن الشك بمضمون الجزاء ليوهم صحته وانه

ان يكن صبر ذي الرزية فضلاً تكن بيننا الاعزّ الاجلاّ

وقد مرّ بيانه وكقوله ايضاً

ان اكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد

والفرق بين البيتين انه حذف السبب في الاول لدلالة الجزاء عليه وحذف الجزاء في الثاني لدلالة السبب عليه وتحرير البيت انه ان اعجب فيحق لي ان اعجب لاني لا أجد لاحد مزية عليّ في فصاحة او شرف ومثله قوله ايضاً

ان يفن ما يحوى فقد أبقى له ذكرًا يزول الدهر قبل زواله

فانه ادّعى انه يشك في انه يفنى ما حواه ثم قال وان يفنى فلا يضره ذلك لانه قد ابقى له ذكرًا يزول الدهر قبل زواله فانظر كيف صرف الشك عن المذكور جزاء واوهم انه من قبيل المتحقق الذي لا يحتاج الى برهان لاثباته

(ثانياً) لدفع ما يمكن ان يترتب على الشرط من غضاضة او ما في معناها تسلية للمخاطب وتطييباً لخاطره ويتم ذلك بان يرتب على الشرط ما يناسب هذه الغاية ادّعاء او تحقيقاً فمثال الاول قول المتنبي الذي اوردناه

ان يكن البضع ضرّ باطنها فربما ضرّ ظهرها القبل

ومثال الثاني الآية في التنزيل «فإن كذّبوكَ فقدْ كُذّب رُسلٌ منْ قبلك جاؤا بالبينات والزُّبر والكتاب المنير» وتحرير الآية «أن تكذيبهم اياك لما فيه من الاقدام والاجتراء على دفع الحق الصريح يكاد لا يصدق فان

نوع التكذيب الدال عليه الشرط حقيقة وكان من المقرّر عند المخاطب ان المكذبين المشار اليهم بالجزاء صبروا وفازوا ولم يلحقهم معرّةٌ من تكذيب المكذبين لا جرم كان في ذلك تسلية لهُ وتطييب من خاطره ودفع لما يمكن ان يترتب على التكذيب من المعرّة والتنقص والفرق بين البيت و بين الآية ان مضمون الجزاء في الآية من نوع مضمون الشرط حقيقة اما في البيت فعلى سبيل الادّعاء كما لا يخفى على المتأمل

(ثالثاً) للحث على الجزاء · وفي هذه الحالة يكون فاعل الشرط والجزاء واحداً متحقق الاتصاف بمضمون الشرط كقول الواعظ «ايها الاخوة او ايها السامعون ان كنتم تحبون الله فاحسنوا الى عياله» اي لا يتحقق عندي انكم تحبون الله الاّ ان تحسنوا الى عياله وعليه الآية « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون » اي لا يصح عندي انكم تعبدونه وحده الاّ اذا اكلتم الحلال واظهرتم الشكر اما انه للحث على الجزاء فاوضح من ان يوضح وقد قال الامام جلال الدين السيوطي في اتقانه ان الغرض من الشك هنا التهييج والالهاب · ونحن نقول ان الغرض من ايهام الشك هنا التهييج والالهاب

(رابعاً) للتكذيب · وظاهر الشرط والجزاء فيه شبيه به في الحث على الجزاء والفارق بينهما ان فاعل الشرط متصف به حقيقة في الحث ويدعي الاتصاف به في التكذيب مثاله الآية « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » وهم لا يتمنونه

كان هودًا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »
ولا برهان لهم فبطل مدعاهم وظهر عدم صدقهم

(خامساً) التعجيز او التهكم او الاستخفاف وهي معانٍ متقاربة يدرك الفرق بينها بحسن الذوق وصورها وان تكن قرينة من صورة التكذيب الاَّ انه لا تخفى على اللبيب التمييز بينها وبينه باختلاف المقامات والاعتبارات ومن امثلتها الآيات الآتية

« لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين » « اسقط علينا كسفاً من السماء ان كنت من الصادقين » « قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين » « قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون » « ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين »

ومن امثلته في الكلام المتعارف قولك للمفتخر بعمله على سبيل التعجيز كسرًا من سورة نخره « ان كنت عالمًا مجربًا فاذكر لنا في علاج الجذام غير ما ذكره ابن سينا ان كنت من البارعين » فانك قد لا تنكر علمه ولا تجربته ولا براعته انما اردت تعجيزه كسرًا من حدة نخره وتقول للجاهل او للاحمق المدعي بالطب وانه وقف فيه على اقوال الاقدمين تهكماً واستخفافاً « اي فلار افدنا بما قاله بقراط في الحمى وعلتها ان كنت من الدارسين المحققين » فانك لا تشك بعدم تحقيقه ودرسه انما اوهمت الشك تهكماً واستخفافاً وهكذا

فلا تفتخر » وهذه الجملة يصح فيها ان تكون من قبيل الشرط الملازم اذا ارسلت على سبيل الحكم التعليمي ولم يرد بها مخاطباً بعينه فاذا خصت بمتكبر معين كانت من قبيل الشرط المنفك وكانت (ان) مستعملة فيها لايهام الشك توبيخاً للمخاطب على كبريائه فقس عليها امثالها كقولك لمن يؤذي اباه « ان كان هذا اباك فالاولى بك احسان معاملته »

(سابعاً) للاعتذار . كأن المخطئ يكره الاقرار بخطأه صراحة فيصانع عن ذلك (بان) والشرط كقول المعتذر « ان كنتُ فعلت هذا فعن خطاء » وعليه قول المتنبي

ان أكن قبل ان رأيتك أخطا ت فاني على يديك أتوب

(ثامناً) للتجاهل . كجواب الخادم وقد سألته عن مولاه اني غرفته هو ام لا فيقول لك « ان كان فيها اخبرتك » فانه ان قال لك هو في غرفته خاف ملامته فيما بعد او قال ليس فيها فكذلك فيصانعك بايهام الشك الى ان يقف على ارادة مولاه وكقول تليذ مدرسة لرفيقه في كتاب يعلم انه في غنىً عنه « ان كنت في غنىً عن كتاب كذا فاعرني اياه » فان خوفه من قبح الرد يحمله على هذا التجاهل وايهام انه شاك وليس به شك وهذا كثير في انواع المخاطبات والمكاتبات وربما يعد منه قول المتنبي

ان كنت ظاعنة فان مدامعي تكفي مزادكم وتروي العيسا

عليها في الجزاء وهذا النوع كثير في المخاطبات دائرة فيها على الالسنة كما لا يخفى

(تاسعاً) لمجاراة الخصم في مناظرة وشبهها وعليه قول ابى العلاء

زعم المنجم والطبيب كلاهما أن لا معاد فقلت ذاك اليكما
ان صح قولكما فلست بنادم أو صح قولي فالوبال عليكما

فانه معتقد عدم صحة قولهما ومعتقد صحة قوله ايضاً الاَّ أنه اوهم انه شاك مجاراة لما في معالنتهما بفساد قولهما وصحة قوله من التنفير وتهييج روح المقاومة وعدم التسليم ويلحق بهذا الباب ايهام الشك بصحة قضية لا ثباتها من وجهة اخرى كما في البرهان غير المستقيم وهو كثير في الهندسة كقولك مثلاً «ضلعان من مثلث هما معاً اطول من ضلعه الثالث والاَّ فالخط المستقيم ليس هو اقرب بعد بين نقطتين»

(عاشراً) عدم معالنة المخاطب بثبوت ما يعتقده من الشرط لان في معالنته ما يدعو الى شدة اصراره وتمسكه بمعتقده والمقصود ازالته عنه ببيان ما يدل على خطاه · وهذا قريب من الغرض التاسع الا انه في غير مناظرة ولا على صورة برهان واوضح ما يستشهد له به الآية «وان كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله» فان ريب المخاطبين واقع لا شك فيه الا انه اوهم الشك بوقوعه وهذا مما يدعوهم الى التساؤل في انفسهم عن سبب الشك فيما هم قاطعون به فتعظم رغبتهم في ايراد السبب لينظروا في صحته وذلك ادعى للتسليم والتنزل عما هم فيه وتحيرهم

ادلكم على ما يزيله او يحملكم على التمسك به وهو ان تأتوا بسورة من مثله فان اتيتم بمثله فلكم ان تبقوا على ريبكم وان عجزتم ففي ذلك دليل على عدم صحة ما يحملكم على الريب» ولا شك ان هذا كلام منصف ومساقه على هذا الاسلوب مما يدعوهم الى التجربة وفي التجربة وتقاصرهم كل مرَّة عن الاتيان بمثله اكبر دليل على فساد رأيهم ان كانوا يعقلون · فهذا ما اراه في (ان) واستعمالها ايهاماً للشك فليقابل على ما ذكره البيانيون وما تكلفوه في تطبيقها على حقيقة الشك وفوق كل ذي علم عليم

في الجملة الاسمية

﴿ اعنى جملة المبتدا والخبر على العموم ﴾

﴿ في المبتدا والفرق بينه و بين الفاعل ﴾

قد علمت ان المسند اليه عند البيانيين يطلق على المبتدا والفاعل بالاشتراك الاَّ اناً ميزنا احدهما عن الآخر لسهولة البحث ونزيدك هنا وان كنت تعلم انَّ الفاعل لا يكون في الاسناد الذي هو حقيقة عقلية الا ما قام به الفعل او معناه نحو «قام زيدٌ ونام ومرض واكل وشرب الخ» واما المبتدا فقد يكون ما قام به الفعل نحو «زيدٌ نام وقام واكل وشرب الخ» وقد يكون ما وقع عليه الفعل نحو «زيدٌ رأيته واكرمته» وقد يكون غير ذلك نحو «زيد قام ابوه واحبت اخلاقه» والجملة ان الفاعل لا يسند اليه الا

بوجهٍ من الوجوه كما مرَّ بك من الامثلة

بقي فرق اخر بين المبتدا والفاعل وهو ان المقصود اولاً في جملة المبتدا والخبر انما هو المسند اليه فكأنما الذهن ينظر اليه اولاً ثم الى مالابسه من من الخبر ولذلك كان لفظه متقدماً طبعاً على الخبر فلا يتأخر الا لغرضٍ مما سنذكره . وقد لاحظ النحاة هذا المعنى فقالوا من ثم ان رتبة المبتدا التقديم لانه محكوم عليه والمحكوم عليه قبل الحكم بخلاف جملة الفعل والفاعل فان المقصود فيها اولاً انما هو المسند اي الفعل مضافاً اليه الفاعل ثم مالابسه من بقية متعلقاته ولهذا لايقدم الفاعل على الفعل اصلاً لئلا يلتبس بالمبتدا في انه هو المقصود اولا ولا يجوز ان تقدم عليه بقية متعلقاته الاَّ لغرض وقد ابنا ذلك فيما مرَّ بك في الكلام عن الجملة الفعلية

﴿ في الخبر واقسامه ﴾

الخبر هو المسند الى المبتدا او المحكوم به عليه ويقسم الى قسمين مفرد وجملة والجملة تقسم الى اسمية وفعلية . ثم المفرد لا يخلو اما ان يكون مكاناً للمبتدا او زماناً له او صفة من صفاته او موصوفاً والموصوف اما ان يكون نفس المبتدا في المعنى او غيره يقصد تشبيه المبتدا به فصارت جملة الاقسام سبعة واليك هي

(١) زيد عندك ام في بيته

(٢) الاجتماع الآن او غداً او في الشهر القادم

(٤) زيد أبوه . ابو يوسف ابو حنيفة اي زيد كأبيه وابو يوسف كأبي حنيفة

(٥) زيد عالم . قائم . مؤمن . ذكي . شجاع الى آخره

(٦) زيد لسانه فصيح . زيد نفسه طامحة الى المعالي . الكريم نفسه تطمح الى المعالي . (٧) المال يعز الذليل والفقر يذل العزيز

فاذا تاملت الجمل المذكورة اعلاهُ وانتبهت لما في محفوظك من استعمالات اللغة علمت ان الاسناد الى المكان كما في الجملة الاولى يدل اقتضاءً على زمن الحال وان الاسناد الى اسم الزمان كما في الثانية يدل الموضوع منه للحال على زمن الحال والموضوع للمستقبل على زمن الاستقبال فاذا اردت زمن الحال او الاستقبال في الاسناد الى اسم المكان او الماضي في الاسناد الى اسم الزمان فلا بد من ذكر الفعل الدال على الزمان المقصود نحو كان وسيكون زيدٌ في بيته وكان الاجتماع البارحة . واما الاسناد في المثال الثالث فاذا أُخذ على اطلاقه خلوًا من سائر الاعتبارات وجب تجريده من كل ما يدل على زمان وسببه ان المقصود من الاسناد في قولنا « رأس الحكمة مخافة الرب » و « الانسان حيوان ناطق » هو ان المفهوم من المسند اليه والمفهوم من المسند يوجد احدهما مع وجود صاحبه مطلقاً لانهما شيء واحد فذكر ما يدل على الزمان اذن من قبيل العبث وهو لا يخفى على متامل واما المثال الرابع فدال على التشبيه ولذلك

في ماهية الصفة ودلالتها

الصفة ما اشتقت لما قام به او وقع عليه الفعل وهي تدل على ذات عامة وحدث عام بينهما علاقة ما فهي من حيث دلالتها على الذات تتصل بالاسماء فتنوب منابها نحو « فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين » او تنعتها وهو كثير نحو « رجل كريم » او تسند اليها نحو « زيد قائم » ومن حيثية دلالتها على الحدث تتصل بالافعال فتسند الى الاسماء نظيرها نحو « زيد قائم » وتتقيد بزمان او مكان او سبب او فاعل نحو « اذاهب الزيدان اليوم الى بيروت لزيارة صاحبها » وغير هذه من القيود التي يتقيد بها الفعل كالمفعول المطلق والمفعول له كما لا يخفى

قلنا ان الصفة تدل على ذات عامة وحدث عام بينهما علاقة ما وتلك العلاقة انما هي علاقة التلبس اي اجتماعهما معاً فاذا تقدم على الصفة ذات اخرى مساوية للذات المدلول عليها بها في التعريف والتنكير كانت تلك الذات المتقدمة مفسرة للذات العامة في الصفة ويستغنى بها عن تقديرها (اعني العامة) ثانية نحو « رجل كريم » او « الرجل الكريم » فان (رجل) هنا فسرت الذات العامة في الصفة (كريم) ونابت منابها في التلبس بالحدث . واما اذا ذكر معها ذات اخرى معرفة او نكرة مخصصة نحو « زيد قائم » و « الرجل مسافرٌ » كانت الذات العامة في الصفة

دلالة الصفة على الزمان

لادلالة للصفة في اصل الوضع على الزمان اصلاً شأن سائر الاسماء الاَّ ان تلبس الذات بالحدث واجتماعهما معاً لا بد له من زمان واذا لم يكن في الجملة ما يدل على نوع الزمان تعين زمن الحال الذي هو اصل الزمان باعتبار ان الماضي والمستقبل متفرعان عنه لانهما يدركان باعتباره فضلاً عن ان تلبس الذات بالحدث الذي هو من مدلول الصفة لا يمكن ادراكه واقعاً فعلاً الاَّ في زمن حال وعليه فقولنا « زيد قائم » انما هو في الاصل اخبار من مشاهد وهو متقدم على الاخبار بقولنا « كان زيد قائماً » « وسيكون زيد قائماً » فانك مالم تدرك اولاً قيام زيد واقعاً في المشاهد لا يصح لك ولا يمكن الاخبار عنه بصورة كان او سيكون زيد قائماً والاخبار في كلا الجملتين الاخيرتين انما هو اخبار عن صورة في الذهن منشأها عن صورة في الخارج شوهدت في زمن حال اولاً

والخلاصة ان الزمان المدلول عليه بالصفة المستندة انما هو في الاصل زمان الحال لا غير ولا دلالة لها على الماضي ولا على المستقبل اصلاً . ولنا على ذلك برهان لغوي نذكره تنبيهاً لخاطر المطالع فنقول

لا يخفى ان الفعل الماضي يتقيد مع دلالته على الماضي بقيود كالامس والبارحة ومنذ يومين او اسبوعين وهلمَّ جرًّا وهذه القيود لاتجوّز اللغة استعمالها مع الصفة اصلاً فلا تقول زيد قائم البارحة ولا زيدٌ عالم الاسبوع